كتابي



حلمي مراد

عباقرة الإنسانية .. في حياتهم الخاصة

غرام شاذ .. في حياة فولتير

كتابي

السلسلة العربية لتلخيص الكتب العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد

الكتاب السابع والتسعون

الاشتراكات والاعداد السابقة : التفصيلات صفحة ١٧٤
الرسائل والمكاتبات : ١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة .
التوزيع والاعلانات : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ، بالقاهرة .
تليفون الادارة والتحرير : ٤٦٤٧٥ ـ ٥٩٥٥٦

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

مارس ١٩٦٨

محتويات الكتاب

اغــلال الحب !

عزيزى القارىء ..

من أين أبدأ حديثى اليك ؟

عندما شرعت فى كتابة هذه السطور ، وجدتنى أسائل نفسى حائرا : ماذا أكتب اليك ؟

❊ هل أحدثك عن أشجان الوطن ؟

لكن صيحة الرئيس البناءة فى حديثه التـــاريخى الى الشعب مساء ٩ يونيو الماضى عاودتنى مدوية ، حافلة بالمعانى: « ليست هذه ساعة للحزن ، وانما هى ساعة للعمل .. »

والعمل ، فيما عنــاه الرئيس ، يعنى عمـــل كل فى ميدانه ، وفى حقل تخصصه الذى يتقنه .. ولا يعنى التعليق والثرثرة حول الاحداث ، « باستراتيجية النوادى ، والمقاهى ، ومقالات الصحف » !

❊ أم أحدثك عن أشجان « كتابى » ، ولماذا توقف فترة من الوقت ، وما هى العوامل التى حجبته عن قرائه حينا ؟

ولا هذا أيضا .. فمتاعب « كتابى » ـ أو متاعبى التى حجبته عنك ـ ينبغى ألا تعنيك ، الا بقدر ما قد يكون لك من يد فيها أو نصيب ، وهو أمر ليس له من الصحة أى نصيب . بل ان العكس هو الصحيح ، فلقد كنت دائما ســباقا الى الاقبـــال عليه ، منـذ وافاك عدده الاول ، حتى تركك عدده السادس والتسعين فجأة ، بغير وداع ، فما كان فى ظنه أن يتركك ، وأنت لم تقصر فى حقـــه يوما أو تضن عليه بودك ورضاك .. بل لعـــله تركك وعدد قرائه يفوق عددهم يوم عرفك فى عدده الاول .. أضعافا !

اذن ، ليس المجال مجال أشجان ، ومتاعب .. وانما حسبك من كتابى أن يعود اليوم ، موفور الاشواق اليك ..

لن أجيب على تساؤل جدلى قد يفرض نفسه فى هذا الصدد : لماذا يعود ؟.. لان الطبيعى أن يبقى العمل الناجح والنافع ، ويدوم .. والاستثناء كان أن يتوقف ، وهو فى عنفوان نجاحه ، وقوته ..

« وأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض . »

* **واذن** ، فحسبك أن يعود « كتابى » فيلقاك ، لقاء المحبين الاوفياء ، لا لقاء الغرباء .. يعود أوفر ما يكون صحة ، ونضارة ، وشبابا .. يعود ليواصل رسالته فى خدمة الكلمة ، والحق ، والعدل ، والخير ، والجمال ..

يعود فى نفس ثوبه القديم ، الذى تركك وهو يرتديه ، قبل أن يغيب ..

يعود عودة « الابن الضال » ، الذى افتقدك ، وافتقدته .. فلم يجد عنك عوضا ، ولا وجدت له بديلا ..

يعود عودة من أفاق من نوم ـ من حلم ، أو على الاصح من كابوس ـ ليستأنف فى غده ، نشاطه بالامس ..

قل انها كانت فترة راحة ، أو استراحة .. محطة تخللت الطريق .. بعد جهد شاق من الكتابة المتواصلة استمر اثنى عشر عاما بلا انقطاع ، فى كتابى (١٩٥٢ ـ ١٩٦٤) .. ومثلها ـ أو يزيد ـ قبل كتابى ، فى غيره من الصحف والمجلات ..

.. أو فلتقل انها كانت فترة تزود بزاد جديد من القراءة النهمة .. من المطالعات ، والدراسات ، تعين على مواصلة السير ..

٠٠ فترة اســـتمتاع بالقراءة الصرفه ، المجـــردة ٠٠ القراءة لمتعة القراءة ، لا بغرض الكتابه ٠٠ الاخذ بغير عطاء ٠٠ الارتواء بغير افراز من عرق ٠٠ أو دموع !

*** ولكن** ، أحقا ؟

أحقا أن الفراق ـ فراقى عن القلـــم ٠٠ عن كتابى ٠٠ عنك ـ كان سعيدا ؟

٠٠ أم انه كان ـ على العكس ـ فراقا موجعا ، قاسيا ، مريرا ٠٠ فراق الزوجين المتحابين ، يندس بينهمـــا الملل ، فيختلفان ، ويزهدان فى العيش المشـــترك ، ويحنـــان الى الطلاق ، والانطلاق ، والحرية ٠٠ فاذا ما انفصـــلا زمنا ، عاودهما الحنين ٠٠ الى المتاعب ٠٠ الى أغلال الحب !؟

أغلب ظنى أن الفراق كان ـ من ناحيتى ـ كذلك ٠٠ وأرجو أن يكون من ناحيتك ، بالمثل ٠٠

٠٠ أن تكون افتقدتنى ٠٠ كما افتقدتك ٠

٠٠ وأن يكون لقاء ، لا طلاق بعده ٠

والله ولى التوفيق

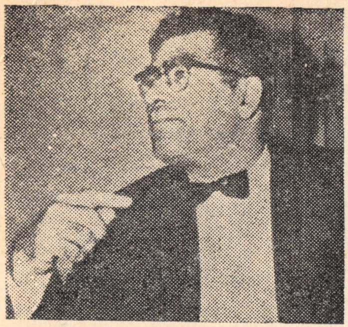
حلمى مراد


يوميات
المحرر

رد على رواية ((الخـــروج))

أحاول الحصول على نسخة من كتاب بالانجليزية أصـــدره متخصص عربى ــ فى (سان فرانسسكو) ــ عن قضـــية فلسطين ، وأخطاء السياسة الامريكيـــة فى منطقة الشرق الاوسط ٠ وكنت قد قرأت أنباء عنه وتعليقات بصدده ، مع صور للمؤلف ، فى كثير من صحف الخارج ــ قبل العدوان ــ ولكنى لم أعثر على نسخة منه فى مكتباتنا ، كما لا أذكر أننى قرأت عرضا له ، أو حتى خبرا عنه فى صحفنا ٠٠ وبالتالى ، أكون مغاليا فى التفاؤل اذا طمعت فى أن تكون قد صدرت ترجمة عربيه له ٠

والمؤلف هو الدكتور محمد مهدى ، المدير السابق لمكتب الاعلام العربى فى سان‌فرانسسكو ، والذى استقال من منصبه التابع لجامعة الدول العربية ، كى « ينزل الى الشارع » فيقوم بالدعاية للقضية العربية ويهاجم الصهيونية بطريقته وعقليته الخاصه ، متحررا من القيود الدبلوماسية التى يفرضها عليه منصبه الرسمى ٠ وهو يعمل فى الوقت ذاته أستاذا مساعدا لدراسات الشرق الاوسط فى أكاديمية الدراسات الآسيوية بسان فرانسسكو ٠ وقد ولد الدكتور مهدى فى العراق ،وتلقى تعليمه العـــالى فى « مدرسة التجارة » ببغداد ، ثم أوفد فى بعثة من الحكومة العراقية ليواصـــل دراسته العليـــا فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا (وله شقيق حصل على الدكتوراه فى الرياضيات من جامعة لندن) ٠ وقد نشرت



الدكتور محمد مهدى

له أبحاث كثيرة حول مشكلات العالم العربى - السياسية ، والاقتصاديه ، والاجتماعية - فى صحف بغداد ، ودمشق ، وبيروت ٠٠ كما نشرت له فى الصحف الامريكية أبحاث ومقالات وتعليقات شتى ، بالاضافة الى دراسات ونشرات عن نظم الحكم ، والحكومة المقارنة ٠٠ الخ ٠

والكتاب الذى أصدره الدكتور محمد مهدى بالانجليزية تحت عنوان « شعب من السباع ٠٠ المكبلة بالاغلال » (A NATION OF LIONS...CHAINED) والذى منحه مجلس ادارة جمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية (جائزة فلسطين) عقب صدوره ، هو محاولة عربية مشكورة للرد على رواية «الخروج» الصهيونية التى سمم بها مؤلفها « ليون أوريس » أذهان الرأى العام العالمى بصدد حقيقة القضية الفلسطينية ، سيما وقد ترجمت الرواية المذكورة الى اللغات الاوربية المختلفة ، كما أخرجت فى فيلم سينمائى ملون ، روجت له الصهيونية وعرضته فى كافة أنحاء العالم ٠ ومن الخطأ فى رأيى أنه لم يعرض فى بلادنا العربية ، وأن الكتاب الذى اقتبس عنه لم تستورد نسخ منه بلغته الاصلية ، بل لم يترجم الى لغتنا لتقرأه شعوبنا ، فما دام التأثير الضار للفيلم والكتاب الاصليين على الرأى العام العالمى قد وقع بالفعل ، ولم نستطع منعه أو الحيلولة دونه فى الخارج ، فماذا كنا نخشى من عرض الفيلم

علينا نحن ، وترجمه الكتاب لنقرأه نحن العرب ؟ هل كان يعقل أن تؤثر القصة المغرضة فينا نحن ، وتضعف من ايماننا بعدالة قضيتنا ؟ بل ان العكس هو الصحيح ، فلا شيء كان أقدر على استفزاز حيويتنا الكامنة ، واطلاق طاقاتنا وأقلام كتابنا ، ومواهب فنانينا ، للرد على تلك الرواية المسمومة برواية مضادة ٠٠ من عرض ذلك الفيلم على المشاهدين العرب ، وترجمة تلك الرواية للقراء العرب ، ان لم يكن لشيء فلكى يعرف كل عربى ، على الاقل ، ما يكتب عنا ويعرض على العالم أجمع ، عدانا نحن !٠٠ يعرفه فيعرف كيف يرد عليه ويفنده فورا ، وفى الوقت المناسب !٠٠ أما ان نخفى رؤوسنا فى الرمال ، فنخفى عن « أنفسنا » الرواية التى قرأها وشاهدها العالم بأسره ، عنا ، فذلك خطأ أدعو المشرفين على شئون الرقابة على المصنفات الفنية عندنا ، والقائمين على مؤسسات النشر والاستيراد ، الى أن يتدبروه مليا ،ويعيدوا النظر فيه ٠

وأعود الى كتاب الدكتور محمد مهدى ، فاقول ان التعليقات التى نشرت عنه فى أمريكا وأوربا ، اعتبرته ردا على رواية « الخروج » الصهيونية ، وقالت ان هذا الرد جاء بصفة خاصة فى الفصل الثالث منه ، الذى جعل عنوانه (فلسطين ٠٠ فى أمريكا) ٠ ثم أضافت التعليقات ان كل من قرأ كتاب«الخروج» أو شاهد الفيلم المقتبس عنه ، « يجب » أن يقرأ هذا الفصل من كتاب الدكتور مهدى ، « كى تكتمل عنده صورة «متوازنة» للنزاع العربى الاسرائيلى » ٠

ولعل أهمية هذا الفصل ، هى التى جعلت خمسا وعشرين من دور النشر الامريكية ترفض ، على التوالى ، نشر هـذا الكتاب ـ خشية اغضاب الصهيونيين ! ـ الى أن قبله ، آخر الأمر ، الناشر السادس والعشرون ، وهو دار NEW WORLD PRESS بمدينة سان فرانسسكو ٠٠ وجدير بكل عربى ان

يزجي اليها التحيه الخاصه من أجل هذا الموقف المتسم بالانصاف ، والمنطوى على التضحيه ولا شك بمصالح الدار لدى الصهيونيين وعملائهم !

أما الفصول الاخرى من الكتاب ، فقد أراد بها الدكتور محمد مهدى أن تكون بمثابة تعليق على الكتابين اللذين أثارا ضجه فى أمريكا فى السنوات الأخيرة ، وهما « الامريكى القبيح » و « شعب من الاغنام » ٠٠ موضحا الأسباب التى جعلت الامريكى « قبيحا » فى الشرق الأوسط أيضا ، وليس فى الشرق الاقصى فحسب !٠٠ كما حاول فيها أن يبصر الرأى العام الامريكى بأخطاء سياسة بلاده فى هذه المنطقه وفى غيرها من مناطق العالم ، بعد أن عقد مقارنه تاريخيه عريضه بين حضارة الشرق الاوسط والحضارة الغربية ، ونشأة كل منهما ، وفترات انتعاشها أو انحدارها ، وموقفها الحالى بالنسبه للاخرى ، ودرجة نموها وازدهارها ٠٠ الخ ٠٠ وقد خلص من هذه المقارنة الى الآتى :

ان الحضارة الغربية شهدت حقبه ازدهار أولى ، فى العصر اليونانى والرومانى ٠٠ تلتها مدة ألف عام من ظلام العصور الوسطى (منذ سقوط روما عام ٤٧٥ حتى بداية عصر النهضة) ٠٠ ثم عادت فازدهرت منذ عام ١٥٠٠ حتى اليوم ٠٠

أما حضارة بلاد الشرق الاوسط فقد كانت حقبة ازدهارها ومجدها (سواء فى مصر القديمة ، أو فى بابل وأشور) سابقة للحضارة اليونانية والرومانيه ، ولكنها ما لبثت أن تعرضت لنحو ثمانمائة عام من « الجاهلية » ، حتى ظهور الاسلام ، ثم لحقبة مماثلة (نحو ٨٠٠ عام) من الحضارة العربية الاسلامية الزاهرة ، عقبتها خمسمائة عام من الظلام (منذ نهاية الحكم العربى فى الاندلس ، حتى فجر النهضة العربية الحديثة فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ٠٠)

ثم يطرح الكتاب هذا السؤال الهام : هل الحضارة الغربية، التى تتزعمها الولايات المتحدة وتحمل لواءها ، فى طريقها الى الانحلال والانهيار ؟ .. ويخلص من هذا الى أن الذى يملك الاجابة على هذا السؤال ، هو الشعب الامريكى وحده ، الذى يملك تقرير مصيره : يملك أن يكون شعبا من الاغنام .. أو شعبا من السباع ، القادرة على تحطيم أغلالها .. اذا أرادت !

وليت احدى دور النشر المسئوله عندنا تطلب نسخه من هذا الكتاب لتفحصه ، وتتولى ترجمته الى العربية ان كان متمشيا مع خطوط السياسه العربيه الراهنه .

هل حواء ((...)) لابد منه ؟

تحية للاذاعية البارعة « سامية صادق » ، اعجابا ببرنامجها الناجح « صباح الخير » الذى تعده وتقدمه من البرنامج العام فى الثامنه الا ربعا من صباح كل يوم . فخلال الدقائق « الضائعه » التى تستغرقها « حلاقه الذقن » ، سمعت فى البرنامج هذه الحكاية اللطيفة المأخوذة من الادب «السنسكريتى» القديم .

تقول الاسطورة : ان الله بعد أن فرغ من خلق الارض ، والسماء ، والطيور ، والحشرات ، والاشجار .. وبعد أن فرغ من خلق « الرجل » ، جمع بقايا كل شىء وخلق منها المرأة « حواء » : خلق وجهها من استدارة القمر ، وشعرها من ارتعاشة الهواء ، وبشرتها من نعومة الافاعى ، وعواطفها من التهاب النار ، وخوفها من فزع القطة ، وجرأتها من شراسة النمرة ، واخلاصها من وفاء الكلب ، وكلامها من عسل النحل ، وغيرتها من ابر النحل .. وبعد ذلك اعطاها هدية للرجل ، آدم .

٠٠ ولكن لم يمض سوى أسبوع واحد حتى عاد الرجل يرد هذه « الهديه » الى الله وهو يبكى قائلا : « أنت أعطيتنى هذه، فخذها ، فهى لا تكف عن الكلام ، ولا تسكت عن البكاء ، ولا تعمل شيئا ٠ وهى تريد أن أداعبها ليل نهار !٠٠ خـــذها يا رب ! »

وأخذها الرب ٠٠ وبعد أسبوع عاد الرجل وهو يقول : « أريدها يارب ، فقد كانت تغنى ، وترقص ، وتغمز لى بعينها بعد الغروب ٠٠ وأنا بغيرها أشكو من الوحدة ! »

وأعادها الله اليه ٠٠

٠٠ وبعد ثلاثة أيام قاد آدم حواءالى الله قائلا : « تعبت معها يارب ٠ تعبت معها حتى لم أعد قادرا على الشكوى منها ٠ خذها يارب ، خذها ! »

وثار الرب على آدم قائلا : « اختر لك شيئا ٠٠ هل تريدها أو لا تريدها ؟ انطق الآن فورا والا أعدمتك وأبقيت عليها ، وخلقت للمرأة زوجا غيرك ! »

٠٠ واستدار آدم وسحب حواء من شعرها وهو يقـــول حزينا : « لا أنا بقادر على قربها ، ولا أنا بقادر على بعدها ٠٠ ولا على الحياة بغيرها ! »

« المقهى » ٠٠٠ ودوره

فى خـــــدمة الادب والفن

لماذا أقفرت شوارع القاهرة الكبرى وميادينها من المقاهى ؟

وليست المقاهى التى أفتقـــدها هى تلك التى يحتكرها الرجال وحدهم ، والتى يعلو فيها ـ والعياذ بالله ـ ضـجيج لاعبى الطاولة وهم يقذفون بأحجارها صائحين : « جهـار » « يك» ٠٠ وانما أنا أعنى المقـــاهى الشبيهة بالمنتديات

المختلطة ، التى تشارك فيها النساء ، وتؤمها العائلات ، كما فى بعض مقاهى الاسكندريه الباقيه ، التى كان لها شبيه فى القاهرة منذ ربع قرن ثم اختفت بالتدريج ، لتحل محلها حوانيت تجاريه متراصة لا أول لها ولا آخر !

أين « بار اللواء » ، و « ليمونيا » ، و « صولت » ؟ .. « صولت » قصر النيل ــ الذى أدركته فى أيامه الأخيرة ــ ومن قبله « صولت » شارع ٢٦ يوليو ، الذى كان يقوم فى مكان متجر شيكوريل الآن ، والذى كان يجلس فيه أمير الشعراء أحمد شوقى ، فى ركن خاص ، بل على مقعد خاص ، لا يتغير !

حتى مقهى « الاميريكين » عماد الدين الذى كان مفتوحا على رصيف شارع ٢٦ يوليو منذ عشرين عاما ، والذى كان أشبه ببستان نضير أو واحة صغيرة يفىء اليها عابر هذا الشارع التجارى الصاخب ، وينعم بنفحات دافئة من شمس الشتاء ، أو نسمات المساء العذبة فى الصيف .. حتى هذا المقهى « اليتيم » المتواضع قد أزيل ومحى من الوجود ، ليخلى مكانه لواجهات أو « فترينات » صماء كئيبة « غبية » ، تكاد تكون فارغة الا من علبة حلوى من الورق ، بدائية المنظر ، أو « برطمان » من الزجاج به بعض « الملبس » أو « التوفى » !

ومقهى « الباريزيانا » الرائع فى شارع الألفى ، أعذب « ملقف » للهواء فى أمسيات الصيف ، وأحلى مكان للسهرات البريئة ، مع قدح من البيرة المثلجة وطبق من الطعام الشهى .. ماذا حل به هو الآخر ، وأى قدر محتوم أدركه ، وحرم العاصمة منه ؟

أنا ألد أعداء المقهى من النوع الأول .. لكننى من أنصار المقهى من النوع الثانى ، ومن أشد الناس تحمسا له ، ودعوة الى الاكثار منه ، والارتقاء بمستواه ..

المقهى الذى تزخر بأمثاله - وتزهو - أرقى عواصم الدنيا .. وتزدان به أرصفة « الشانزليزيه » وميـدان الاوبرا فى باريس ، وشارع « فنيتو » وميدان « ايزيدرا » فى روما ، وشوارع الليدو فى فنيسيا ، و « فوركورستندام » فى برلين ، وأهم ميادين فيينا ، ومدريد ، وأثينا ، ولندن .. الخ .

وأكتفى - فى شرح وجهة نظرى - بمثال واحد ، فى بلد واحد : أكتفى بالدور الهام الذى لعبه « المقهى الفرنسى » فى تاريخ الفن والادب ، فى غضون القرن التاسع عشر .. الدور الذى لم يستطع مؤرخ أو كاتب ذكريات أن يغفله أو يغمطه حقه ، بل أحنى هامته احتـــراما له وتبجيلا .. فلقد نافس المقهى كلا من الجامعة والأكاديمية ، كمركز لتلقى العـــلم والاغتراف من مناهل المعرفة ، ومهبط لوحى الابداع الفنى ، وملتقى لتبادل الآراء ومناقشة النظريات والافكار .. فكم من معارك « جمالية » احتدمت حول مناضده الرخامية .. وكم من قصائد جديدة تليت ، للمرة الاولى .. وكم من نظريات حديثة شرحت وطرحت للنقاش ، وتبلورت ، ورسخت أقدامها ، فى مقاه بعينها . ان كل الحركات الفكرية التى كان لها صدى فى ذلك العصر ، اقترن ذكرها بمقاه معينة ، كان كل من أطراف النقاش والجـــدل يتخذون لأنفسهم محلا مختـــارا فى أحد أركانها أو شرفاتها ، يلتقون فيه ويتجمعون ، لتنشب بينهم وبين الفريق الآخر معارك القلم واللسان !

وهكذا اشتهر مقـــهى « موموس » بتردد الاديب « هنرى مرجيه » (١٨٢٢ - ١٨٦١) عليه مع أصدقائه البوهيميين ، الذين صورهم فى روايته الخالدة « صور من حياة البوهيميين » (التى قدمت لك تلخيصا لها فى العدد ٢٥ من كتابى) .

واشتهر مقهى « دى باد » بأنه المقر المختار للرسام العظيم « مانيه » (١٨٣٢ - ١٨٨٣) ، قبل أن ينضم الى جمـــاعة

الفنانين التـــأثريين فى مقهى « جيربوا » ، الذى لم يلبث أن اشتهر كواحد من المعالم الهامة فى تاريخ الحركة الفنية فى باريس فى ذلك العصر .

وقد خلد الكاتب الايرلندى « جـــورج مور » (١٨٥٢ ـ ١٩٣٣) مقهى أثينا الجديدة ـ « لانوفيل أتين » ـ فى كتابه الممتع « اعترافات شاب » الذى وصف فيه بأسلوب بليـــــغ لا يجارى ، المكانة الكبيرة التى احتلها هذا المقهى فى قلوب رواده والمترددين عليه . وكل من عاش فى باريس منذ أيام « مور » ، لا بد قد لمس مبلغ صدقه وأمانته فى وصف جو ذلك المقهى وجاذبيته ..

ولو انتقلنا الى مقاهى باريس الاخرى ذات الاجواء الثقافية التى ترعرعت فيها الفنون والآداب ، أمثال مقاهى « فلورى »، « دو ماجو » ، « كوبول » ، « روتوند » .. لاســـتطعنا أن نقرن بأسمائها تاريخ الحـــركات الفنية المختلفة التى تتابع اشعاعها على العالم فى المائة عام الاخيرة ، ومنها : المستقبلية ، الدادية ، السريالية ، الوجودية .. ولئن اختلفت وجوه رواد تلك المقاهى من أنصار هذه الحركات الفنية أو خصــومها ، من حقبة الى أخرى ، فان « روح » كل مقهى منها و « الجو » الذى عرف به ، لا يتغير بمرور الايام .

ولنقرأ ما كتبه جورج مور فى « الاعترافات » عن مقهـــاه المفضل :

« اننى لم ألتحق بجامعة اكسفورد ، ولا بجامعة كمبريدج، ولكنى التحقت بـ « أثينا الجديدة » . ما هى أثينا الجديدة ؟ ان من يبغى معرفة شيء ما عن حياتى ، ينبغى أن يعرف شيئا عن أكاديمية الفنون الرفيعة .. لا تلك الاكاديمية الرسمية « الغبية » التى نقرأ عنها فى الصحف ، بل الاكاديميـــــة الفرنسية الحقيقية : المقهى . ان « أثينا الجديدة » مقهى يقع

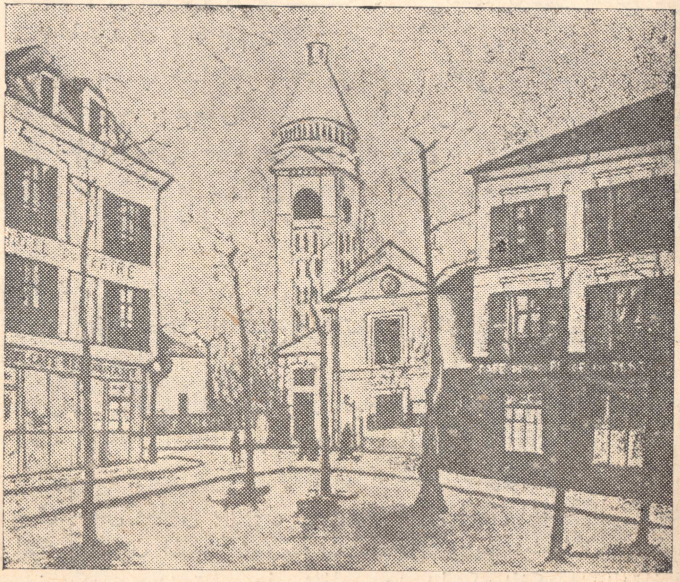


مقهى باريسى على الطريق ، كما يبـــدو ليلا : لوحة من روائع
« فان جوخ » ، بمتحف الدولة « كرولر موللر » بهولندا

فى ميدان « بيجال » . آه ، ما أجمل تسكع الصباح ، والأمسيات الطويلة التى تغدو فيها الحياة مجرد وهم من أوهام الصيف .. والقمر يصب ضياءه الأشهب على الميدان ، حيث اعتدنا أن نقف على الرصيف متأهبين للانصراف ، والمصاريع الخشبية لنوافذ المقهى تغلق وراءنا ، ونحن نشفق من التفرق، ونفكر فى كل ما لم يتسع الوقت أو تمتد بنا السهرة حتى نقوله ، وكيف كان الافضل أن نفرض رأينا على المناقشات .. لقد مات وتفرق كل أولئك الذين ألفوا أن يجتمعوا هناك .. ولم يبق من تلك الاعوام ، ومن بيتنا ذاك ـ فلقد كان ذلك المقهى بيتنا ـ غير بضع صور وبضع صفحات من النثر .. ورغم أن تأثير مقهى « أثينا الجديدة » فى الحركة الفكرية والفنية فى القرن التاسع عشر تأثير مجهول ، وغير معترف به بصفة رسميه ، فانه تأثير متأصل وبالغ الاهمية . »

أما المقهى الآخر ، مقهى « موموس » الذى خلده « هنرى مرجيه » فى روايته المشهورة « صور من حياة البوهيميين » ، فلا تقل أهميته ودوره فى خدمه الادب والفن فى فرنسا ، عن دور « أثينا الجديدة » .. فلقد كان « مرجيه » أول من سلط الاضواء وعرف الفرنسيين بشخصية « البوهيمى » : الفنان المعدم الذى يقطن حجرة رطبة صغيرة فوق سطح أحد المنازل ، والذى يكاد يتضور جوعا وهو يشق طريقه الى الاضواء . ولم تكن الجماهير تدرك ـ قبل صدور قصة « مرجيه » تلك ـ ان الفاقة والرطوبة والبرد ، تجلب فى أعقابها المرض ، والموت .. لكن « مرجيه » كان قد فجع فى الكثيرين من أصدقائه وصديقاته الذين ماتوا فى سن العشرين وما يقرب منها ، بل انه هو نفسه شاخ وذبل قبل أن يجاوز الثلاثين .. وقد كان المقهى بالنسبة للكثيرين من أولئك الفنانين بمثابة الملجأ والملاذ ، وكان كرم بعض ذوى القلوب

النبيلة الذين شملوهم برعايتهم هو السبيل الوحيد لتوفير الطعام والدفء لهم ، فلم يلبث « مومو س » أن صار المقهى النموذجي ـ وان يكن المتواضع ـ الذى يلتقى فيه الشعراء وأهل الفن ٠٠ فراح يتردد عليه ، كل ليلة بانتظام : بودلير ، وتيوفيل جوتييه ، وجيرار دى نيرفال ، والشقيقان جونكور ، وتيودور دى بانفيل ، والرسام جوستاف كوربيه ٠٠ وقد كان « دى بانفيل » هو الذى ابتكر ونادى بشعار البوهيميين:



مقهى ميدان « تيرتر » بباريس : لوحة للرسام الفرنسى « أوتريللو » ، بمتحف « بيرلز » ، بنيويورك

« فلنتسامى ونعيش فى فاقتنا » ! وبلغ من فقر تلك الجماعة وحاجتها ، ان مواردها المالية عجزت حتى عن شراء نبيذ فرنسا الرخيص ، فكونوا من أنفسهم ـ بدافع السخريه ـ « جمعية شاربى الماء القراح !! »

وقد كانت بعض المناقشات التى تدور فى الغرفة العلوية من المقهى على درجه كبيرة من الجديه ٠٠ كان « كوربيه » يناقش قضيه الواقعية والرومانتيكيه ، ويلعن اعمال « فيكتور هيجو » ، معبود « مرجيه » ٠٠ بينما بودلير يدافع عن الرومانتيكيين ويهاجم واقعية بلزاك !

والى جانب هذا الجو الجاد من أجواء المقهى ، كانت النزوات الأقل جدية ، لبعض « شاربى الماء القراح » ، تسبغ شيئا من الطرافة على الحياة فى الحى اللاتينى : كان بودلير يحلق شعر رأسه تماما ويصبغ جمجمته باللون الاخضر ! ٠٠ بينما « جيرار دى نيرفال » يقود جرادة من جراد البحر أمام المقهى ، ذهابا وجيئة !٠٠ وحين تشكو زوجه صاحب البيت « مدام لوفيه » من تصرفه ، كان يجادلها بقوله ان جرادة البحرهادئة وذات عقل جاد ، لا تنبح ولا تخدش بالاظافر ، وتعرف كل أسرار الاعماق !

وفى الوقت الذى لا تزال فيه باريس تؤدى ، الى اليوم ، تحية الاجلال لذلك المعهد العظيم ـ المقهى ـ الذى كان بمثابة « البيت » لأدباء فرنسا وفنانيها ، خلال القرن التاسع عشر ، نرى بعض مقاهى باريس المعاصرة تحتل نفس المكانة التى كانت لمقاهى القرن الماضى ٠ وسوف يسجل تاريخ أيامنا الحاضرة ، حين يكتب ، ان تأثير هذه المقاهى على الحركة الفكرية والثقافية للقرن العشرين ، لا يقل عن تأثير مثيلاتها فى الماضى ، وانها تؤدى نفس الدور الذى كانت تؤديه « أثينا الجديدة » ،

و « دى باد » ، و « مومومس » ، و « كوبول » ، و « روتوند »، و « فلورى » ، و « دو ماجو » ٠٠ وغيرها ٠

فمتى تكون لنا مقاه تؤدى نفس الدور ، وتترك طابعهـا وبصماتها على حياتنا ٠٠ وتهيىء الجو الثقافى الممتع للاجيال المتعاقبة من ادباء بلادنا وفنانيها ؟

المرأة العـاملة فى اليابان

حضرت حفلا أقامه رئيس مركز تجـارة اليابان ـ مستر « يوشينورى ناجورو » ـ فى نقابة الصحفيين بالقاهـرة ، وعرضت فيه طائفه من الأفلام اليابانيه التى تعـرف بمختلف نواحى الحياة فى اليابان ٠٠ فلم تبهرنى المشاهد التى تظهـر مدى ضخامة التقدم الصناعي والعلمى والانتاجى فى تلـك البلاد ـ اذ كنت قد لمست ذلـك كله عن كثب خلال زيارتى لليابان فى عامى ١٩٥٧ و ١٩٦١ ـ بمقدار ما بهرتنى لقطـه عابرة ، لها فى نظرى دلالاتها الكثيرة ، الانسانيه ، والتجاربه ، والنفسية ، بل و « الحضارية » ٠٠ لقطة ظهرت فيها فتـاة يابانية تعمل كبائعه فى أحد متاجر طوكيو ، فرأينا ـ أولا ـ كيف تعـامل زائرى المتجـر : بالبشاشـه ، والترحيب ، والابتسامة التى تبدو وكأنها تنبع من القلب ، وتعرض عليهم كل ما يسألون عنه دون أن تضغط عليهم للشراء ، أو تضايقهم بالتأفف ، أو تلاحقهم بنظرة احتقار ، أو كلمة تعريض وتهكم ، اذا ما انصرفوا عنها دون أن يشتروا شيئا ٠٠ (والكلام لكن ولكم يا بائعات وبائعى متاجرنا فى القاهرة !)

٠٠ ثم رأينا البائعة تترك مكانها الى المتجر ـ اذا ما حانت احدى « فترات الراحة » التى تتخلل ساعات العمـل ـ كى تجلس تتسامر مع زميلاتها وزملائها فى « كافتريا » المتجـر

الانيقة المريحة ، فتنسى وقفتها الطويله و « تفانيها » فى خدمة العملاء ، والصبر على طلباتهم التى لا تنتهى .. بل وتحس « بادميتها » ، وبتقدير مدير العمل لمجهودها ، ومكافاتها عليه ..

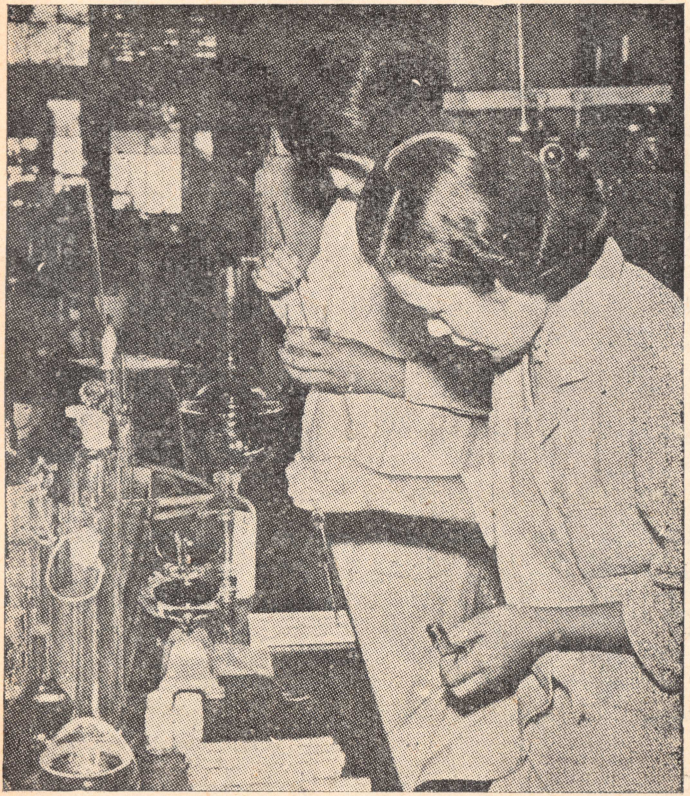
هذا التفانى المتبادل ، بين العاملين ومديرى الاعمال .. بل هذا « العطاء » مقابل « الاخذ » بين الطرفين .. هو مفتاح كل شىء ، والحافز الاكبر على الانتاج ..

وذكرتنى هذه اللقطات من الفيلم ، ومثيلاتها ، بالكثير من الحقائق التى وقفت عليها أثناء جولتى القصيرة فى تلك البلاد الناهضة العجيبه .. وهى حقائق ألخص لك هنا — بالارقام — أهم ما يتعلق منها بالمرأة العامله فى اليابان :

١ — بلغ عدد العاملات فى اليابان (فى تعداد ١٩٦٠) رقم ١٨ مليون و ٢٨٠ ألف عاملة — من جميع المستويات — بنسبة ٤٠ر٥ فى المائة من مجموع القوى العامله فى البلاد ، ونسبة ٥٣ر٩ فى المائة من مجموع عدد الاناث فوق سن ١٥ سنه .. و ١٩ فى المائة من مجموع السكان البالغ يومئذ ٩٥ مليونا (والذى يقترب اليوم من المائة مليون) .

٢ — من هؤلاء ٦ مليون عاملة فى المصانع (وكان العدد ٣ ملايين فقط فى تعداد ١٩٤٨ ، أى بزيادة مائة فى المائة خلال ١٢ سنة) ، وعدد أكبر من هذا يعملن فى البيوت ، سواء كربات بيوت يعملن لحسابهن الخاص ، أو عاملات فى بيوت غيرهن ، بالاجر .

٣ — ٥٩ فى المائة من القوى العامله فى الزراعة والريف ، من الاناث . وقد نتج عن تعميم برامج التليفزيون وأجهزته فى الريف أن نقصت الفوارق « الثقافية » بين العاملات فى الزراعة وزميلاتهن العاملات فى قطاع الصناعة فى المدن .



عالمتان فى الكيمياء تجـريان تجاربهما
فى أحد المعامل فى اليابان .

٤ ـ ٣١ فى المائة من المشتغلين بالتدريس ، من الاناث . وقد بلغ عدد المدرسات فى ١٩٦٠ نحو ٢٤٤ر٢٩٠ مدرسة .. منهن أكثر من ٤٥٠٠ مدرسة بالجامعات ، و ٤٨ عميدة للكليات .

٥ ـ ارتفع عدد الطالبات فى المعاهد العليا والجامعات من ٢٦ ألف طالبه جامعية فى عام ١٩٥٠ الى ١٤٠ ألفا فى عام ١٩٦٠ .. وقد بلغت النسبة اليوم انثى واحدة الى كل ٤ ذكور فى الجامعات ، أى ٢٠ فى المائة من مجموع طلبة الجامعات (أو ٣ فى المائة من مجموع الاناث اللاتى تتراوح سنهن بين ١٨ ـ ٢٢ سنة فى اليابان كلها) . وبعد أن كانت خريجات الجامعات يلزمن بيوتهن فى انتظار الزواج ، صارت كل متعلمة تعمل على الاقل بضع سنوات قبل أن تتزوج .. ومنهن نسبة كبيرة تواصل العمل بعد الزواج .

٦ ـ وطبقا للمادة ٢٤ من الدستور اليابانى ، تتساوى الفتاة مع الشاب فى حريه اختيار شريك الحياة (دون موافقة الوالدين ، بعد سن العشرين) ، وفى حقوق الملكية ،والميراث ، وشروط الطلاق . ورغم تزايد نسبة الطلاق بعد الحرب العالمية الثانية ، (وأكثر الذين يطلبون الطلاق هن النساء) ، فان نسبة الطلاق أخذت فى التناقص تدريجا حتى بلغت فى احصاء ١٩٦٠ ثلاثة أرباع حالة (أى أقل من حالة واحدة) بين كل ألف من الزيجات . وطبقا للقانون المدنى الجديد الصادر فى عام ١٩٤٧ صارت الزوجة ترث ثلث تركة زوجها ، بينما يقتسم أولادهما الثلثين الباقيين .

٧ ـ أما نسبة النسل فقد بلغت نحو ثلاثة أطفال لكل زوجين ، أو ٢ر٩ بالتحديد . وهى أقل بكثير مما كانت من قبل .

٨ ـ وفى اليابان ٤٢ ألف جمعية أو ناد للنساء ، أكبرها جمعيه تضم سبعة ملايين من الاناث ، ويتبع هذه الجمعيـة ٢٣ر٦٠٠ ناد ، تنتشر من المدن الكبرى الى أصغر القرى · وينتمى ٦٣ فى المائة من اليابانيات فوق سن العشرين الى جمعية أو ناد واحد منها على الاقل · وهناك جمعية خاصـة للأرامل ، ترعى شئونهن ، كما أن هنـاك فروعا من بعض النقابات (كنقابة المحامين) مخصصه للنساء ·

٩ ـ وفى اليابان محاكم خاصة للعائله ، تشغل النسـاء فيها ٢٥ فى المائه من مناصب المستشارات اللواتى يتولين مهمة الوساطة العائلية بين الزوجات والازواج الذين ليسـوا على وفاق · كما توجد هيئات خاصة برعايه الاطفال ، تشـغل



فتيات يابانيات مدربات يشرفن على تشغيل الاجهزة الحاسبة الالكترونية فى احدى شركات المحاسبة

النساء ٢٤ فى المائه من مناصبها . أما فى ميدان التربية فقد بلغت نسبه النساء فى الهيئات التى تتولاها ١٥ فى المائة . ويتزايد فى كل عام عدد النساء المشتغلات بالقضاء ،والمحاماة، والطب ، والهندسه ، والمحاسبه ، والاشراف الاجتماعى ، بل ومناصب البوليس .. وغيرها من الميادين التى كانت حكرا على الرجال الى ما قبل دخول اليابان الحرب العالميه الثانيه .

١٠ ـ أما بالنسبة لحقوق المرأة السياسيه ، فقد حققت المادة ١٤ من الدستور المساواة التامه بين الجنسين فى هذا الصدد. وأعطى قانون الانتخاب الصادر بعد انتهاء الحرب مباشرة (فى ديسمبر ١٩٤٥) حق التصويت فى الانتخابات لكل النساء فوق سن العشرين .. فاشترك ٧٠ فى المائة من النساء فى الادلاء بأصواتهن فى انتخابات ١٩٤٦ ، وظفرت ٣٩ امرأة بمقاعد فى مجلس النواب . ولكن عددهن الذى بلغ فى فورة الحماس الاولى هذا الرقم ، لم يلبث أن تناقص فى الانتخابات الاخيرة الى عشرين امرأة فقط ، فى مجلسى النواب والشيوخ مجتمعين . لكن عدد المشتركات فى التصويت تزايد فى الوقت نفسه فبلغ فى الانتخابات العامة التى جرت فى نوفمبر ١٩٦٠ نسبة ٧١ر٢ من مجموع النساء اللواتى لهن حق التصويت ، بينما بلغت النسبة بين الرجال ٧٦ فى المائة . أما فى الانتخابات المحلية (لا العامة) فقد بلغت النسبة ٩٠ فى المائة للنساء ، مقابل ٩٠ر٤ للرجال . وهكذا تساوت درجة الوعى السياسى والاهتمام بممارسة حق الانتخاب بين الجنسين ، بعد أقل من ١٥ سنة من منح المرأة هذا الحق ! .. وبعد أن كانت فكرة شغل المرأة للمناصب العامة لا تخطر فى الاذهان (قبل الحرب العالمية الثانية) صارت المرأة تشغل الآن منصب وزيرة العلوم والتكنولوجيا ، كما تشغل عددا كبيرا من المناصب الرئيسية فى شتى ادارات الحكم المحلى .

التعليم بالمراســـلة

أفق جديد ينفسح أمام شبابنا ، بل وكهولنا !

دعانى الدكتور عبد المجيد العبد رئيس الجهاز المركزى للتدريب الى ندوة مثمرة نظمها الجهـــاز ، بالتعاون مع المركز العربى للبحوث والادارة (أراك) ، لمناقشـــة اســـتخدام « المراسلة » كوسيلة للتعليم والتدريب فى بلادنا ، وأساليب هذا الاستخدام ٠

وشهد الندوة ، الى جانب الضيوف المصريين ، اخصائيان عالميان فى نظم التدريس بالمراســـلة ، هما مستر « يوجين ماكدونالد » رئيس مجلس ادارة مؤسســـة تنميـــة الموارد ، بالولايات المتحدة ، ومستر « فرانك ماكلوى » مدير مؤسسة انتر تكست الامريكية للنشر ٠ وليس المجال هنا مجال تسجيل كل ما دار فى الندوة من مناقشات ، أو حتى تلخيصها ــ فذلك وحده يستغرق عشرات الصـــفحات ــ وانما ســـأكتفى هنا بالاشارة الخاطفة الى بعض ما علق بذاكرتى من آراء ومعلومات تبودلت ونوقشت خلال الندوة ٠ (وأنتهز هـــذه الفرصـــة فأعتب على صحفنا « اليومية » الكبرى أنها لم تفرد صفحاتها لنشر « كل » ما دار فى هذه الندوة الهامة ، وأمثالها ٠) :

١ ــ ذكر **مستر يوجين ماكدونالد** ان أحـــدث طريقـــة « عملية » اهتدت اليهـــا الجمعيات الطبيـــة فى بلاده لتزويد الاطباء بأخبار المكتشفات الجديدة فى الطب وأساليب العلاج ، بالمراسلة ، هى موافاتهم بأشرطة تسجيلية « شـــهرية » ، ترسل الى كل منهم ليديرها على جهاز الاســـتماع المركب فى سيارته ، ويستمع اليهـــا ــ رغم أنفه ! ــ وهو فى طريقه الى عيادته أو الى زيارة مرضـــاه ٠ وبهـــذه الوســـيلة المبتكرة « تحايلت » السلطات الطبية وتغلبت عـــلى عقبة انشـــغال الاطباء عن قراءة المجلات الطبية أولا بأول ، لضيق وقتهم ٠

٢ ــ وافتتح **الدكتور السيد أبو النجا** رئيس مجلس ادارة (أراك) المناقشة بدعوة الباحثين الحاضرين الى ابداء رأيهم في مبدأ التعليم بالمراسلة : هل هو مجد أم غير مجد .. واذا كان مجديا ففى أى المجالات يستخدم ، وبأية أساليب ؟

٣ ــ وتحدث **الدكتور عبد المجيد العبد** فأوضح أن هدف المشروع الجديد للتعليم بالمراسلة هو أن نستفيد بخبرات الدول التى سبقتنا فى مضمار التكنولوجيا ، فنبدأ من حيث انتهت أبحاثها . وأرجع حاجتنا الملحة الى التعليم بالمراسلة الى سببين جوهريين ، هما : نقص الاجهزة العلمية فى المدارس والمعاهد ، ونقص المدرسين المؤهلين ، ومن هنا نشأت حاجتنا الى العامل الماهر الذى تعجز المدارس عن تخريجه للسببين السالفين .

٤ ــ وقال **الدكتور محمد كامل الحارونى** ان الهدف الاول للتعليم بالمراسلة ينبغى أن يكون سد حاجة شركات القطاع العام ـ التى يبلغ عددها نحو خمسمائة شركة ــ من العاملين المدربين ، فى كل المجالات .. لا أن يكون التعليم بالمراسلة مطلقا ، بلا هدف محدد .

٥ ــ وأوضح **الاستاذ طه النمر** أهمية المشروع بقوله ان التعليم بالمراسلة يمكن أن يستوعب نسبة الثمانين فى المائة من شبابنا الذين تضيق عنهم المدارس بمختلف مراحلها ، وكذا الجامعات ، فان الذين تقبلهم كل مرحلة من مراحل التعليم لا يزيدون على عشرين فى المائة من الناجحين فى المرحلة التى تسبقها ، وهكذا .

٦ ــ وطالبت **الدكتورة سهير القلماوى** بأن يراعى فى التعليم بالمراسلة تدريب العاملين والموظفين على « التخصص » فى مجالات عملهم ، على أن يوجه التدريب الى المجالات التى نحتاج اليها أكثر من غيرها ، على ضوء الثغرات الموجودة

بالفعل ، قبل أن يكون رائدنا من التعليم بالمراسلة ما « ينبغى أن يكون » ، أى بتدريب فئات جديدة على ميادين جديدة « ينبغى » أن توجد .

٧ ـ وروى **الشاعر صالح جودت** طرفا من مشاهداته فى صدد موضوع المناقشة ، فقال ان «الفيلبين» تكافح الامية عن طريق التعليم بالتليفزيون ، الامر الذى حقق فائدة قدرها ستون فى المائة .. وان فى الولايات المتحدة الامريكية جامعة مشهورة زارها أثناء جولته فيها ، تسمى « جامعة الهواء » ، لانها تنشر برامجها التعليمية عن طريق محطة اذاعة خاصة بها ، وتعقد للمستمعين امتحانات ، وتمنحهم شهادات . واقترح انشاء « نادى القرية » فى كل قرية من ريف بلادنا ، وارسال برامج التعليم بالمراسلة الى شخص مسئول فى هذا النادى يتولى القاء هذه البرامج على السامعين من رواده . وبهذه الطريقة يمكن تعليم عشرين مليون فلاح بأسرع وأبسط وسيلة .

٨ ـ وشكا **الدكتور حسين الغمرى** من داء ربط التعيين والترقية فى بيئات العمل عندنا بالاقدمية ، دون مراعاة للمهارات المكتسبة أثناء العمل ، وطالب بوضع علاج لهذا الوضع القائم بحيث تكون فرص الترقية مرتبطة بما يحصله العاملون من تدريب وتخصص ، عن طريق المراسلة ، على أن تعطى لمن يتمون التدريب شهادات معترف بها تفيد ذلك .

٩ ـ ولخص **الدكتور سيد محمود الهوارى** مزايا التعليم بالمراسلة فى عدة نقاط ، أهمها : انه قليل النفقات ، سريع النتائج ، يغطى أعدادا كبيرة فى وقت واحد ، ويناسب المتقدمين فى السن ، كما يخضع المعلومات لطريقة علمية منمطة . وأضاف ان الحاجة ماسة الى تدريب الاداريين والفنيين على حد سواء ، على أن تكون الاولوية للاداريين ، وأن

يبدأ بتدريب المستويات العليا قبل سواها ، بمعنى أن تدريب المديرين أهم من تدريب المرؤوسين . أما بالنسبة لاسلوب التدريب فاقترح أن تكون المحاضرات مكتوبة ، وأن تؤدى الامتحانات كتابة وشفويا . وأخيرا ، أن تعطى « للطالب » شهادة بأنه أدى برنامج التدريب فى فرعه ، وأتمه .

١٠ ـ ثم اختتم **الدكتور السيد أبو النجا** الندوة ـ كما بدأها ـ بعقد مقارنة رائعة بين التعليم بالمراسلة والتعليم فى المدرسة العادية ، فقال ان الاول يمتاز بأن المعلومات تصل فيه الى التلميذ فى الوقت الذى يختاره هو ، ويكون فيه جالسا فى مقعده المريح ، وفى الظروف التى يريحه فيها أن يتعلم ، بينما التعليم فى المدرسة يفرض نفسه على التلميذ فرضا ، فيلقى على مسامعه وهو جالس على مقعد خشبى غير مريح ، وفى ظروف هى أبعد ما تكون عن اختياره .. فالمدرسة هى التى تختار المواد ، وهى التى تختار الوقت ، وسواء كان التلميذ مهيئا ـ نفسيا ـ لتلقى العلم أو غير مهيأ ، فهو مجبر على تلقيه !.. ثم ان الميزة الثانية للتعليم بالمراسلة أنه يتيح « تفاعلا » بين المدرس والتلميذ لا يتأتى فى المدرسة العادية ، لان المعلم بالمراسلة يتوقع استجابة من المرسل اليه ، أما فى المدرسة فالمعلم يلقى معلوماته دون أن يتوقع استجابة ما .. « ونحن فى التعليم بالمراسلة نتجه الى تلميذنا باعتباره بشرا ، فنتحدث اليه ، ونصل الى قلبه .. نحن لا نبيع المعلومات ، بقدر ما نشترى الاشخاص » .

.. و « كتابى » يسره أن يزف الى الجماهير العريضة تباشير هذا المجال الجديد الذى نرجو أن يستوعب مئات الالوف من الراغبين فى العلم ، وفى التدريب ، وفى التخصص .. سواء من شبابنا ، أو كهولنا .

فى دنيا الشعر والنغم

اختلست من زحمة الحياة لحظات صفاء وتأمل ، عشتها فى دنيا الشعر والنغم ، مع انتاج ثلاثه من شعرائنا : شاعرين معروفين ، وشاعرة ناشئة .

الشاعر الاول ـ كمال عمار ـ التقيت به عبر الاثير ، خلال برنامج « شعر وموسيقى » الذى يعده الشاعر فؤاد بدوى لاذاعة الشرق الاوسط قبيل منتصف كل ليلة .. فقد سرق انتباهى صوت الممثل الاذاعى محمد علوان يتلو بالقائه الرائع قصيدة كمال عمار الجميلة التى التقطت منها هذه الأبيات :

ما الذى أغراك بى ، هذا المساء ؟

ما الذى أغراك بى .. قولى وبوحى
يا لهيبا شب فى أعماق روحى
لا تقولى الشعر .. فالشعر ..
دموع الأصدقاء
وعذابات الظنون
لا تقولى هدأ الليل ونام الرقباء
فغدا يستيقظون
لا تقولى فيك أبصرت فلانا ..
دمه .. ضحكاته .. لون العيون
فأنا وحدى على شط الجنون
زورقى الارض ومجدافى السماء
ومنى عصبتها بالكبرياء

***

والشاعر الثانى ـ الدكتور عفيفى محمود ـ التقيت به على صفحات ديوانه « وطنى .. وحبى » . والدكتور عفيفى أديب

وعالم ، أو عالم وأديب ـ ولست أدرى أى الصفتين غالبة فيه ـ فقد عرفته كأديب وشاعر ، جمعتنى به رحلة جمعية الادباء الى موانىء البحر الاحمر على الباخرة (عايدة ٣) فى خريف ١٩٦٦ .. لكنى لم أعرفه كأخصــــائى فى علم الحشرات ENTOMOLOGY ، حصل عـلى الدكتوراه فى هــذا العلم من جامعة ميونيخ بألمانيا ، ثم عاد ليعكف عـلى خدمة وطنه فى المركز القومى للبحوث بالقاهرة .

ومن بين قصائد الديوان الاربع والثلاثين ، هذه القصـيدة المعبرة التى نظمها الشاعرفى ميونيخ فى مستهل شتائه الثانى بين ثلوجها (وفى الشتاء تكتسى ميونيخ بطبقة من الثلج تغطى المبانى ، والاشجار ، والسيارات ، ويبلغ ارتفاعها فىالشوارع أحيانا نحو متر !) :

البقية فى صفحة ١٧١

من قصص البطولة العربية

زنوبيا

ملكة (تدمر)



بقلم الكاتب الكبير الأستاذ : ابراهيم المصرى

هذه القصة من التاريخ ..

التاريخ العربى حافل بالبطولات .. فحيثما نقبنا ، فى بطون الكتب وصفحات التاريخ ، فى شتى عصور الوجود العربى ، نجد أمثلة حية تنطق – بأفصح لسان – بأمجاد العرب ، وبطولة رجالهم ، وشجاعة نسائهم ، بل واستشهادهن أحيانا فى سبيل تحقيق النصر لجيوش بلادهن على جيوش الاعداء – (كما فعلت السلطانة « جلنار » زوجة الملك المظفر ، حين افتدت زوجها بحياتها ، فكفلت لجيش مصر النصر على جيوش التتار فى معركة « عين جالوت » الخالدة ، يوم الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨ هـ . ١٢٥٩ م .)

وقصة الملكة السورية « زينوبيا » ملكة تدمر ، التى نقدمها لك فى الصفحات التالية ، مثل آخر من أمثلة بطولة المرأة العربية ، ووطنيتها ، وشجاعتها الخارقة التى تزرى بشجاعة الرجال :

كان ذلك فى عام ٢٧٣ للميلاد ، وفى مدينة (تدمر) السورية ، وفى قصر « زينوبيا » ملكة تدمر الذائعة الصيت ..

وكانت زينوبيا ممددة على أريكة مستطيلة ، محتقنة الوجه ، متقبضة التقاطيع ، يقدح الشرر من عينيها السوداوين الساحرتين ، وتعبث يدها الرخصة المتشنجة بمروحة ذهبية صغيرة ، ويتجه بصرها المحدد وسمعها المرهف الى « بيلوس » ، تابعها المقرب ورئيس حرسها الخاص ..

وكان بيلوس ينظر اليها فى تضرع وخشوع ويرتجف .. كان يعبدها ولا يجسر حتى على لمس يدها ، وكانت هى تعرف أنه يحبها ، وأنه أخلص أعوانها لها ، وأنه من المحال

ان يكذب عليها ، أو يغرر بها ، أو يخون الرسالة المقدسة التى كرست لها نفسها وحياتها . ومع ذلك فقد اجترأ ورفع يديه متوسلا مستجديا وهتف :

- الرحمة ل « جميلة » يامولاتى ! .. أنا الذى بصرتك بحقيقة مسلكها .. أنا الذى كشفت لك عن خيانتها .. لكن شقيقى « سارى » يحبها الى حد الجنون ، وفى عزمه أن يتزوجها ، وهو لابد أن يموت منتحرا لو حرمته أنت منها .. فأشفقى عليها يامولاتى وعاقبى الرأس فقط ، والرأس هو « ماكونيوس » ، هو الخائن ، وهو صنيعة الرومان فى بلادنا !

فضمت زينوبيا أهدابها ، وصاحت تتلوى وتهدر :

- اتشفق على جميلة من أجل شقيقك ؟ .. واذن فماذا يجب أن أفعل أنا وهى أختى ؟ .. أنا أيضا أشفق عليها من أعماق قلبى ، بل أحبها كأنها ابنتى . لقد ربيتها بعد وفاة أمى وكنت أحس أنها بضعة منى ، وصفوة من دمى .. **ولكنها خانتنى وخانت شقيقك وبلادها لتحل محلى ، وتظفر بتاجى ، وتقترن بماكونيوس ، وتجعل منه بتأييد أعدائنا الرومان ملكا على تدمر ، هذه هى أختى .. فكيف تطلب الى أن أرحمها ؟**

وأردفت زينوبيا وصوتها يدوى وعيناها تبرقان :

- لا .. لن أرحمها ولن أرحم شريكها .. كلاهما يسعى لهدم الصرح الشامخ الذى بنيت .. كلاهما يسعى لافساد الرسالة المقدسة التى أجاهد لتحقيقها منذ سنين .. لقد كان الفرس يطمعون فى حكم تدمر وسورية والشرق كله .. فحاربهم زوجي المتوفي « أوديناتوس » ، وقهر

ملكهم « شهبور » ، وعزز استقلال (تدمر) ومعظم البلاد السورية المجاورة لها ٠٠ ثم حالف روما التى نزلت على ارادته ، واعترفت به شريكا مساويا لها فى النفوذ على بلاد المشرق كله ، ولكن ها هي ذي روما ، روما حليفتنا بالامس وشريكتنا ، تتنكر اليوم لنا ، وتتربص بنا ، وتطمع كالفرس لا فى استعمارنا نحن فقط وبسط سلطانها السياسى والاقتصادى علينا ، بل فى استعمار جميع شعوب الشرق التى وقع معظمها تحت رحمتها ٠٠٠ وبالامس ، بالامس القريب ، بعث الى الامبراطور « أوريليانوس » برسالة أجبت عليها بالرفض القاطع ٠٠ رسالة غاشمة يكاد أن يفرض على فيها عقد معاهدة جديدة تجعل من بلادى مقاطعة رومانية وسوقا مملوكة للرومان ، يوجهون سياستها ، ويتحكمون فى مرافقها ، ويتصرفون فى تجارتها تصرفا يملأ بطونهم ويسوم شعبى شر ضروب الفقر والبؤس والهوان ٠٠ **فالغرب اليوم يهددنا ٠٠ الغرب يطمع فينا ٠٠ الغرب واقف لنا بالمرصاد ، ورسالتى أنا هى أن أوحد الشرق تجاهه ، أن أجمع كلمة العرب المظلومين ، وأهل الشرق المستعبدين ، وأضم صفوفهم ، والهب عزائمهم ، وأقنعهم بأن فى الوحدة خلاصهم** ، ثم أؤلبهم على المستعمر الرومانى عند الاقتضاء ، فالوحدة الشرقية الشاملة هى دينى ومعتقدى ٠٠ وما دمت قد استطعت أن أمد نفوذ بلادى من الفرات الى البحر المتوسط ، فسأمضى فى تحقيق حلمى ولو غالبت المستحيل. ولقد بدأت بجمع كلمة العرب ، فأنا نفسى عربية بنت عربى كان أميرا من أمراء العراق ، والرومان هم الذين أطلقوا على اسم زينوبيا ، أما اسمي الحقيقي فهو زينب ، وهو عربي

كاسم أختى جميلة ٠ فالعروبة فى دمى ، ومصير الشرق كله مرتبط بمصيرى ، وهأنذى بعد أن كسبت العرب ، أفلحت أيضا فى اجتذاب معظم شعوب هذا الشرق المعذب ، ولا سيما الشعب المصرى العريق الذى ضاق ذرعا باستعمار الرومان ، والذى رحب بدعوتى ، وآمن برسالتى ، واستقبل جيوشى فى أرضه مؤازرة لا طامعة ، ومسالمة لا مقاتلة ، ومتآخية لا غازية ، ومتضامنة مع مصر كلها فى وجوب تكوين جبهة شرقية موحدة متماسكة ٠٠ فتدمر السورية ومصر الفرعونية ، هما طليعة جيوش الشرق الموحد ، والقوة العظيمة المرهوبة التى لابد أن تنطلق يوما وتجاهد لخلع نير الرومان ! ٠٠ هذه رسالتى يا بيلوس أفضى بها اليك لاول مرة ، يقينا منى بأنك أنت ستكون فى الغد ساعدى ويمينى ، بعد أن غدر بى ماكونيوس واتصل بأعداء الشرق وأعداء بلادى ٠٠ أفما زلت بعد هذا كله تقيم وزنا لاخيك وتشفق عليه من عقاب ينزل بالخائنة جميلة التى يعشقها ؟! ٠٠ ان جميلة هى أختى وماكونيوس هو أحد قادة جيشى ، ولكنى فى سبيل رسالتى لن أرحم أختا خائنة وقائدا مجرما !



فحدق اليها بيلوس ، واندفع بالرغم منه وقال :

ــ أفى نيتك حقا ان تعاقبى ماكونيوس ؟

فغشى الدم وجه زينوبيا ، وصاحت وهى ترتجف :

— نعم ٠٠ أنا أحبه ٠٠ ما زلت أحبه ٠٠ ما زلت أحب ذلك المجرم الذى يريد هلاكى ٠٠ ولقد كان فى نيتى أن أتزوجه وأجعل منه ملكا ، **ولكنى بعد ان خبرته ، وعرفته رجلا فظا غليظا مستبدا ، مولعا بالملذات فى شره ، مدمنا على الخمر فى جنون ، خفت منه على مصير شعبى وبلادى ورسالتى ٠٠ فأعرضت عنه ، فاستشعر هو قوتى ، فمال الى أختى الضعيفة ثم عاهدها على الزواج ، ثم أقدم على الخيانة التى استكشفتها انت ، واستند الى تأييد الرومان وتواطأ مع أختى على الظفر بتاجى بعد قتلى** ٠٠ أجل ، انه اليوم ألد أعدائى ، ومع ذلك فأنا ما زلت أحبه ٠٠ ما زلت منجذبة اليه بسحر جماله وفتنة رجولته وقوة الشر المنبعثة منه ٠ ولكنى على قدر انجذابى اليه أريد ان اقهر حبى له ٠٠ أريد أن أكون بعقلى وارادتى ومصلحة الشرق وبلادى أقوى من سلطانه الغاشم على ٠٠ اريد ان أصرع هذا السلطان لأستوثق من نفسى ، وأطمئن الى قوتى ، وأحس أنى لست امرأة بل بطلة خليقة بأن تملك وتحكم وتكون صاحبة هدف ورسالة ومثل أعلى !

فأشرق محيا الضابط الشاب ، وكاد الدمع ان يطفر من عينيه ٠٠ فانحنت عليه زينوبيا ولاطفت يده بأناملها ، وقالت فى صوت ملؤه الرقة والحنان :

— أنا أعلم يا بيلوس أنك أنت وحدك الذى تحبنى ٠٠ فأحببنى أيضا يا صديقى ، ودع صدق عواطفك المقرون بعظيم اخلاصك يتغلغل على مر الزمن فى نفسي ، ويطهرني

من هواى المنكر الشائن وينقذنى • ومن يدرى ، فقـــد يأتى يوم تكون فيه أنت يابيلوس الوفى حبيبى وزوجى !

فانفجرت دموع الشاب ، وأكب على يد مولاته وقبلها •• فتركت له يدها لحظة ، ثم أسرعت وجذبتها وصاحت :

ـ أما الآن فكف عن هذا الذى لا يليق برجل •• لقد نفذت أنت بنفسك خطتى ، ودعوت ماكونيوس لقضـــاء السهرة الليلة معى • أنه الآن فى الطريق الى هنا ، متبوعا من حيث لا يدرى بأعوانه من رجال الجيش الخونة الذين أرشدتنى أنت اليهم •• وفى اللحظة التى يكون فيها قد غادر منزله ، سيطبق رجالك على داره ويفتشونها وينتزعون منها الوثائق السياسية والخرائط الحربية التى كان فى نية ماكونيوس ان يبعث بها الى الرومان • فالخائن سيكون بعد لحظة هنا •• أما أختى فسيعلم الجميع فى غد أى مصير كان مصيرها ، فاذهب •• اذهب الآن أنت ، وأكمن فى هذا السرداب الصغير •• ومر بقية رجال الحرس أن يكمنوا هم أيضا فى القبو المجاور لبهو القصر •

وأرسلت زينوبيا قهقهة طويلة ، فارتعد بيلوس وهتف :

ـ احذرى يا مولاتى وتنبهى !

فصرخت وهى ما تفتأ تضحك :

ـ لا تخف على ••

ورددت وهى تومىء الى موضع السرداب :

ـ اذهب •• اذهب حالا ••

وما أن هبط بيلوس فى جوف السرداب واختفى ، حتى سمع فى الخارج وقع حوافر جواد •• فنصبت زينوبيـــا

قامتها ، وشع من عينيها بريق متوعد شامت ٠٠ فصفقت مرتين ، فأقبلت وصيفاتها ٠٠ فأشارت اليهن باستقبال ضيفها ، وعادت هى فتمددت على الاريكة بعد أن حلت شعرها ، وكشفت عن صدرها ، وتأملت فى مرآتها منبت نهديها الناصع حيث تتدلى مروحتها الذهبية الصغيرة المتراقصة ٠٠

ودخل ماكونيوس ، فرحبت به الوصيفات ٠٠ ولم يجردنه من سلاحه كما جرت العادة ، ثم انحنين أمامه فى احترام بالغ واختفين ٠ فاتجه هو صوب زينوبيا ، وجثا على الارض ، وألقى التحية ، وبصره المبهور يتفرس فى الملكة العظيمة التى ابتسمت له ، واسترخت أمامه ، وتمطت وتماوجت ، واستحالت الى أنثى ٠٠

لم تمهله زينوبيا ، وبسطت له ذراعيها الغضتين ، وقالت :

– مرحبا بك أيها القائد ٠٠ أكنت تظن انى أعرضت عنك لان قلبى قد انصرف الى رجل غيرك ؟ ٠٠ تعال وأجلس بجوارى ، وتأكد أنى لم أنبذك فترة الا لامتحن حبك يا حبيبى ، أما وقد وثقت اليوم فيك بعد تجربة طويلة أقنعتنى أنا نفسى بأن لا حياة لى الا فى قربك يا ماكونيوس ، فالرأى والعقل والقلب منى قد استقرت جميعا على أن أتخذ منك زوجى وحليلى !٠٠ لهذا دعوتك الليلة ٠٠ فتقدم ٠٠ تقدم وقبلنى ٠ بل تقدم وخذنى ، عربونا على حبى وصدقى ٠ نحن فى القصر وحدنا ، ولولا اعتزامى أن أكون لك الليلة ما تجردت على هذه الصورة من غلائلى ، وما صرفت مختارة جميع أعوانى وحرسى ٠٠

ومالت اليه وقلبها يتقطع ٠٠ كانت تحدق فى وجهه الاسمر الخمرى ، وفى صدره الملبد العريض ، وفى عينيه الزرقاوين المتقدتين ، وتقــارن بينه وبين بيلوس الاعجف المهزول ٠٠ فتحس كأن قلبهــا يعتصر فى صــدرها ٠٠ فتغالب قلبها ، وتغالب حبها ، وتحاول ما اســتطاعت أن تكبح الرعدة المخبولة المتمشية فى صميم احشائها ٠٠

وبهت الرجل ولم يصــدق ٠٠ ولكن الصراع الذى نشب فى قلب زينوبيا ، ضاعف جمالها ســحرا وحرارة وفتنة ، كما ضاعف صوتها حماسة واشــتعالا وقوة ٠٠٠ فآمن ماكونيوس بأنها حقا تحبه ، وأنها قد اعتزمت حقــا أن تتزوجه ، فقارن هو الآخر بينها وبين جميــلة التى اتصل بها عجزا منه ويأســا ٠٠ فراعه حسن زينوبيا الباهر ، واغراؤها المتلهف القاهر ، وســلطانها المرهوب الذى دان له فى النهاية وخضع ٠٠ فاندفع نحوها ، وطوقها بذراعيه ، وقبلها ٠٠ فأنت المرأة أنينا موجعا ٠٠ أنين من يطلب ويرفض ، ويشتهى ويقاوم ، ويحب ويكره ، ويقسم وفى نيته ان يغافل ويطعن ٠ ولما اهتاجت حواس ماكونيوس وغلى دمه فى عروقه وهم بالمرأة ، **تملصت منه زينوبيــا فجأة ، ثم وثبت كالفهد المطارد ، ثم صاحت مرفوعة الرأس وعيناها تلمعان :**

— لا ٠٠ الموت أحب الى الساعة مما ينتظرنى فى غد علــى يدك ! ٠٠ اقتلنى ٠٠ نعم اقتلنى ! ٠٠ لقــد احببتك ووثقت فيك ولم أجردك من ســلاحك عندما دخلت الى هنا ، أفيكون جزائى منك بعد هذا ان تستمتع الآن بى ، ثم تتزوجنى فى غد وتقاســمنى ملكى ، وأنت مضمر فى

أعماق سريرتك ان تخدعنى وتتخذ من جميلة عشيقة لك ؟ ٠٠ لا ٠٠ الموت أحب الى ٠٠ فاقتلنى ، أمت بيدك سعيدة قبل أن أشهد خيانتك ومصرع حبى !

فكر عليها ماكونيوس ، وأمسك بذراعها ، وطفق يهزها هزا عنيفا ويقول :

ـ وأنت ؟ ٠٠ ألست مضمرة فى نفسك أن تقترنى بى ثم تتخذى من رئيس حرسك بيلوس عشيقا وحبيبا ؟ ٠٠ أجيبى ؟

فصرخت زينوبيا :

ـ أبدا ٠٠ ان بيلوس منذ الآن ملك يمينك ٠٠ فمر أحد أعوانك بقتله غدا ، على أن تسلم فى الوقت نفسه بموت جميلة ! ٠٠ ضحية بضحية ٠٠ هذا هو شرط العدل والحب والوفاء !

فتطلع اليها ماكونيوس مذهولا وتمتم :

ـ ولكن جميلة أختك ٠٠ شقيقتك ؟!

فهتفت زينوبيا :

ـ ان رابطة القلب أقوى من رابطة الدم ٠٠ وأنا لن أكون امرأة وعاشقة اذا سمحت لاختى بالجسد أن تسلبنى من أحبه بالجسد والقلب والروح ! ٠٠ انها هنا ٠٠ جاءت لزيارتى وأمضت اليوم معى ٠٠ انها فى حجرتها الخاصة ٠٠ ثالث حجرة بعد هذا الدهليز الطويل ٠٠ فاحزم أمرك يا ماكونيوس ، وادخل عليها الساعة وقم بواجبك !

فارتعد الرجل من فرعه الى قدمه وغمغم :

ـ ولكن في وسعك أنت ٠٠٠

فصاحت زينوبيا وهى تدفعه :

– لا .. انمــا أريد أن أختبر قوتك أنت ، لأستوثق من عمق حبك ، فأكون بعد ذلك لك !.. سيضمنا مخدعى بعد لحظات .. ففكر فى نعيمنا وضع ارادتك فى قبضــتك وتقدم ..

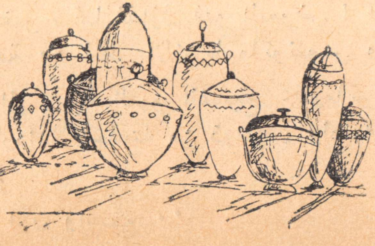
واحتضنته وقبلته مرة ثانية .. فنشاء وتصور النشوة الكبرى .. فأسرع وتملص واســتل خنجره وانطلق فى الدهليز ..

وســاد صمت زافر .. وأحست زينــوبيا كأن نارا تطوقها ، وكأن جزءا حميما عزيزا من كيانها يحترق بهذه النار وينتزع منها .. فغــالبت أيضــا نفســها جهدها وتصلبت .. ثم عاد ماكونيوس ، عاد مترنحا متطوحا ، وقدم اليها الخنجر الدامى ، وارتمى بين ذراعيها ملهوفا وقال :

– لابد لى منك الســاعة والا فقدت عقلى ! أريد أن أنسى جريمتى فيك ، وفى نهر من الخمر أعب منه وينقذنى !

فالتقطت زينوبيا أنفاسها وصاحت :

– سيكون لك كل شىء .. الجســد والخمر .. المملكة والتاج . أنظر الى هذه الجرار الضخمة العشر .. ان فيهــا



خمرا نادرة جلبتها من أينع كروم بلاد اليونان ، ويمكنك بعد لحظة واحدة وأنت بين أحضانى أن تعب من تلك الخمر الالهية حتى ترتوى . ولكن تجرد من بقية سلاحك أولا ، واخلع عنك هذا الرداء الذى يعوق حركاتك .. سلمى .. يا سلمى .. خذى هذا السلاح ، واحملى الينا كوبين من ذهب ، واغلقى علينا الباب وتنبهى ..

وجاءت الوصيفة بالكوبين ، ثم اختطفت السلاح ، وخرجت به وهى ترمق مولاتها بنظرة جانبية وترتجف . وما أن اختفت حتى ضم ماكونيوس زينوبيا فى عنف الى صدره .. فتقلبت المرأة فترة بين ذراعية ثم تصلبت ، فهتف وهو يقبلها ويتشبث بها :

ـ يالك من ساحرة آخذة بالالباب .. أحبك بقدر الروع الذى ملكنى حيال جثة أختك ! .. أنت كالمرجانه ، فيك ليونة النبات وتحجر المعادن !

فلم تجبه زينوبيا على الفور ، بل ارتعشت فجأة اذ سمعت صهيل خيل تقترب .. فقالت عندئذ لماكونيوس وعيناها تبرقان وصوتها يدوى :

ـ وأنت .. أنت كالخفاش ، أعمى ، لا تبصر نهارا ولا فى ضوء القمر ، أما غذاؤك فهو البعوض ! .. فانظر .. أنظر الى الحديقة .. أنظر الآن يا ماكونيوس واسمع ..

وقفزت الى رحبة البهو الفسيح ، وماكونيوس يتطلع اليها ذاهلا شاردا ، وجذبته من ذراعه ، وأدنته من النافذة ، وطفقت تردد :

ـ أنظر الآن واسمع ..

فلم يكد يحدق حتى انخلع بدنه ، وجحظت عيناه وجمد .. أبصر منظرا فظيعا .. أبصر رفاقه الخونة كلهم وقد جاءوا ملبين دعوة الملكة ، وعزلا من السلاح كما جرت العادة ، يتساقطون الواحد بعد الآخر وهم يذودون عن أنفسهم بأيديهم وأسنانهم وأرجلهم صارخين مستغيثين ، **ورجال الحرس الذين خرجوا بغتة من القبو المجاور للبهو ، يحدقون بهم ، ويعملون السيف فى رقابهم ، ويسدون عليهم مسالك الحديقة التى استحالت الى شبه بركة من الدم تحت ضوء القمر ..**

وأيقن ماكونيوس من المكيدة .. فجن جنونه ، وتحول الى المرأة كوحش كاسر وهو يصرخ :

ـ الغادرة !.. الخائنة !

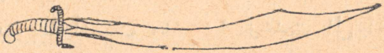
ولكن زينوبيا أفلتت منه .. وعدت الى أقصى البهو ، وصاحت وصوتها الهادر يموج حقدا وبغضا وتشفيا :

ـ الوثائق والخرائط التى كانت فى دارك أصبحت فى حوزتى ! .. ألم تتفق مع التاجر الرومانى « سيبيون » على أن تبعث بها معه الى روما ؟.. ألم تتقاض منه الثمن أنت وأختى وأعوانك السبعة أكثر من خمسين ألف قطعة من الذهب الخالص ؟.. فالخائن الغادر هو أنت .. أنت و هم .. وخيانتكم أشد هولا وأفظع ألف مرة من العقاب المدبر الذى أنزلته بكم .. ذلك لانكم لم تخونوا بلادكم فحسب ، بل خنتم العرب كلهم !

فطاش صواب ماكونيوس ، ورفع قبضته ، وانقض على زينوبيا .. ولكنها أسرعت ودفعته عنها وصرخت :

— الى يا بيلوس .. الى يا رجالى .. هاتوا خمـرا للقائد الباسل الشريف !

فبرز بيلوس من جوف السرداب وسيفه فى يده .. وانفجرت أغطية الجرار الضخمة العشر التى تحمل الخمر النادرة المزعومة ، وانطلق منهـا عشرة رجال كانوا جثما قعودا فيهـا ، **واندفعوا هم ورئيس الحرس نحو ماكونيوس المروع المتخبط الذى انهالت عليه الطعنات من كل صوب ، بينما كانت زينوبيا تضحك ملء رئتيها ، وتضحك ملء فوزها ، وبصرها الثابت الراسخ المندلع يشخص فى ألم عجيب وفرح عميق الى الجثمـان المشوه الذى كانت تضج وتمرح بالامس فيه روح حبيبها ومعبودها ..**



ولما شفت غليلها ، مشت الى باب الصدر وفتحته ، ومرقت الى الحديقة ، ومضت تتأمل جثث الخونة ، وتحصيها، وتعينها بأسـماء أصحابها .. وفجأة قطبت حاجبيها ، وصاحت بالحرس وعيناها تتوهجان سخطا وغضبا :

— كانوا سبعة رجال .. فأين سـابعهم ؟.. أين « ملكارت » الكلدانى الوصولى الدنىء الذى هو فى نظرى أخبثهم وأدهاهم جميعا ؟.. لا أرى أثرا لجثته .. كيف أفلت منكم ؟.. لابد أن يكون قد فر .. ابحثوا عنـه فى كل مكان ، وجيئونى به حيا أو ميتا !

ووجم الحرس .. ثم ارتموا فى أرجاء الحديقة باحثين

منقبين ، ولكنهم لم يعثروا على الضابط الكلدانى الهارب ٠٠ فامتطى البعض منهم صهوات جيادهم واندفعوا الى المدينة يبحثون عنه ، وظلت زينوبيا واقفة تتأمل صرعى الخيانة وتأمر برفع أشلائهم ، وبيلوس المعجب المفتون يحدق فيها، وأشعة القمر الساطعة تنصب عليها ، وهى هادئة ثابتة شامخة ، كأنها الالهة عشتروت العذراء القوية نفسها !

وانقضت أسابيع طويلة ، ولم يستطع رجال الحرس والشرطة أن يقفوا على أى أثر للضابط الكلدانى الخائن ملكارت ٠٠ فلم تكترث زينوبيا ، وعكفت بكل قواها على تطهير جيشها ٠٠ فاستأصلت منه العناصر المشبوهة وتولت قيادته بنفسها ، وأسندت الى بيلوس المنصب الذى يليها ؛ وراحت تنظم الصفوف وتجمع السلاح ، وتعد العدة لحرب فاصلة كانت تتوقعها ، وتستشعر مقدمها ، وتحس أن الرومان يتهيأون لها ٠٠



وكانت على ثقافتها الاغريقية الواسعة ، قد حذقت أيضا فنون الحرب والقتال على يد أساتذة تلقوها من الرومان أنفسهم ٠٠ **فكانت تنظم جيشها نهارا ، وتنكب على الخرائط ليلا ، تدرسها ، وتعين المواقع التى يمكن ان يهاجمها**

العدو منها ، وترشد رجالها اليها ، ولا تفتأ تردد عليهم ان روما تتربص بهم ..

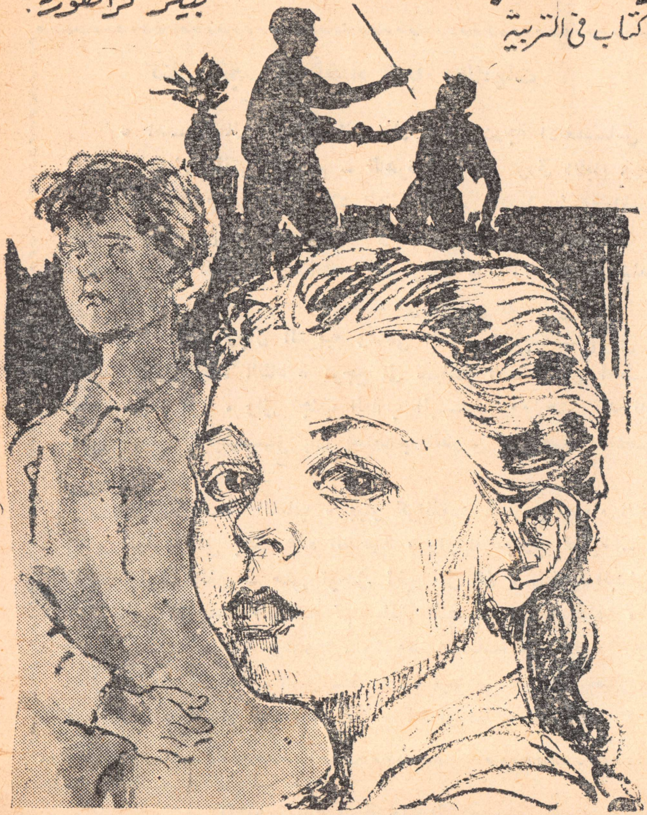
وبالفعل كانت روما تستعد .. وكان الامبراطور أوريليانوس الذى بلغه نبأ المكيدة التى أطاحت بماكونيوس صنيعته فى (تدمر) ، والذى أفزعه نزول جيش زينوبيا فى مصر متآخيا مع المصريين ، والذى هاله وروعه أن يفلت الشرق من قبضة روما ويصبح ملكا خالصا لاهله ، قد أعد العدة هو الآخر لاسترداد سيطرة الغرب على الشرق ، ومقاتلة زينوبيا حامية الشرق ، وانقاذ امبراطورية الرومان التى كانت قد بدأت تتفكك وتنحل تحت ضربات الشعوب الاجنبية المستعبدة ..

(البقية فى ذيل الكتاب :
انظر رقم الصفحة فى الفهرس)

كيف تؤدب طفلك!

أحدث كتاب في التربية

للعالم النفساني
"بيتر كرانفورد"



DISCIPLINING YOUR CHILD

The Practical Way — By : PETER G. CRANFORD

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

كتاب يجب أن يقرأه الآباء والأمهات

● استفحال انحراف الصغار – الى درجة الانغماس فى أبشع الرذائل وانكر الجرائم – ظاهرة أصبحت تؤرق الآباء ورجال التربية والاجتماع فى شتى بلاد العالم ، وفى بلادنا بطبيعة الحال ، فان ما نقلناه من نظريات التربية والتعليم الاوربية – وساهمت فى تعميمه أجهزة السينما والاذاعة والتليفزيون – يقرب ما بين البلدان على تباعدها ، ويكاد يوحد المشكلات فى المجتمع الانسانى كله !

ولقد أجمع رجال التربية وعلمى النفس والاجتماع على أن السبب الاول لهذه الظاهرة يرجع الى سياسة الاغضاء عن أخطاء الطفل فى صغره ، والى تجنب العقاب البدنى .. حتى لقد نادى بعض المربين الانجليز بأن يصطحب المدرس فى فصله « عصا » .. ولو للارهاب !

ومؤلف هذا الكتاب « بيتر كرانفورد » ، من علماء النفس الذين توفروا على بحث هذه الظاهرة ، واجراء تجارب عملية – على أولاده وأولاد الغير – حتى توصل أخيرا الى ان « العقاب البدنى » هو العلاج الاوحد .. ولكنه لم يطلق النصيحة على عواهنها ، بل وضع للعقاب أصولا ، وحدودا ، وشروطا استمدها من تجاربه .. ثم فصل كل هذا فى الكتاب الذى نلخصه لك فيما يلى ، والذى يجدر بكل أب وأم – وبكل من يعتزم أن يصبح أبا أو أما – أن يقرأه :

التأديب عند قدماء الشعوب

ان بذور السعادة كامنة فى أعماقنا ، وفى متناول أيدينا ، وليس علينا سوى أن نعنى بها لتنبت وتثمر ..

ومن أعظم مصادر السعادة ، الروابط التى تربط بيننا وبين صغارنا ، فهى من المتانة والقوة بحيث تحمل الآباء على تحمل أقسى عناء ، وعلى أن يكونوا أشـــبه بالعبيد الأرقاء ، فى سبيل تنمية ابنائهم وحمايتهم . هذا ويبدأ حرص الأب على تهذيب ابنه وتعليمه وارشاده مع مولد الطفل ، وينمو بنموه .. ولا ينتهى ، فى الغالب ، الا عندما يغادر الأب هذه الدنيا .

ومنذ فجر التاريخ الانسانى ، كان ثمة اجماع على أن النظام والأدب يجب ان يفرضا فرضا على الصغير ، ولدا كان او بنتا .. فـكان قدماء المصريين يؤمنون بأن اله التعـليم والمعرفة « توت » قد أنزل على الأرض « عصا التأديب » .. وكان فلاســـفة الاغريق ينادون بالجزاء والعقاب ، فكان « أرسطو » يرى أن الأطفال يجب أن يوجهوا « بدفتى السرور والالم ، لاصلاح أمورهم .. ونهج الرومان نفس النهـــج ، حتى لقد كان « كاتو » يرى ان « اعظم واجب لأى أب هو ان يربى ابنه تربية صحيحة » .. **وكان يذهب الى درجة ان« للأب الحق فى أن يأمر بموت ابنه ، اذا امعن فى الاعوجاج واستعصى على الاصلاح » .. وورد فى التـــوراة ، أن الذى يهمل استخدام العصا « يكره ابنه »!** وجاء فى تعاليم القـــديس



« توما الاكوينى » ـ التى ســـادت الكنيســـة الكاثوليكيـة منذ سبعة قرون ـ أنه لما كان بعض الأبناء يضلون ويميلون الى الرذيلة ، ولا يتســنى تقويمهم بالكلام « لذلك كان من الضرورى لأمثالهم ان يكبحوا عن الشر بالقوة والارهاب » ..

ولقد عارض « **جان جاك روسو** » ـ فى كتابه « اميل » ـ أخذ الأطفال بالجدل والمنطق ، والاستجابة لكل رغباتهم ، اذ أن هذا يطمعهم فيزدادون شططا فى هذه الرغبات ، حتى يأتى يوم يضطر فيه الآباء الى عدم الاستجابة ، فيكون هذا أقسى ايلاما مما لو عمد الآباء من البداية الى تجنب الاستجابة السهلة ..

ودعا « **هيجل** » ـ فى القرن التاسع عشر ـ الى العقاب ، « لا استهدافا للعدالة ، وانما تقييدا لاستعمال الطفـل حريه لم تعده الطبيعة بعد لاستعمالها » ..

بدء سياسة التساهل

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، أساء بعض المفكرين تفسير آراء أفلاطون ، وروسو ، ومونتين ، وديوى ، وفرويد ، واستطاعوا ان يغلبوا سياسة تجنب العقاب ، خشـــــية « العقد النفســـية » ! .. حتى أصبح الآباء عاجزين عن استخدام سلطانهم ، ومنعت المدارس ـ بل ومحاكم الاحداث ـ من ممارسة « العقاب البدنى » ، مما أسلم المسئولين عن التربية الى حيرة أليمة ..

ولكن تطور الأمور فى الســنوات التى انقضت منذ الرضوخ لآراء هؤلاء المفكرين ، جعل الرأى العام أشد مايكون اقتناعا اليوم ـ تؤيده الأحداث والاحصـــاءات والبحوث ـ

بأن ازدياد انحراف الأحداث ، واستفحال الاضطرابات النفسية لدى الصغار ، مرده الأول ان نظريات التربية الحديثة - التى تنادى بتجنب الكبح والكبت والعقاب - قد نسفت سلطة الأسرة والمدرسة من جذورها !

والواقع ان مولد سياسة التساهل الراهنة يرجع الى سنة ١٩٠٠ ، عندما كتب الفيلسوف والتربوى الامريكى « جون ديوى » مقالا بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا »، مهد به للنظرية القائلة بأن التعليم يجب أن يقوم على قاعدة من علم النفس ، وعلى مراعاة مصالح الطفل ورغباته ٠٠ وكان جماع قوله ان **الطفل بفطرته ينزع الى النمو ، فهو يعمل - أو يجب أن يعمل - على تكوين مجموعة من العادات المرنة ، تمتاز أول ما تمتاز بعلاقتها باستكمال النمو ، وليس باكتساب دربة معينة أو مهارة بالذات ٠٠**

وقد وجدت دعوته نفوسا وعقولا معدة لتقبلها ، ولأن تقرنها بدعوة « أفلاطون » الى أن من الممكن جعل التعليم مشوقا لنفس الطفل ، وبما قاله « روسو » من أن الطفل طيب بطبعه ٠٠ وبما كان قائما من استنكار لاستغلال الأطفال فى مختلف الأعمال القاسية ، نتيجة للانقلاب الصناعى ٠٠

وفى سنة ١٩٠٩ ، وجدت هذه الأفكار تأييدا قويا ، اذ طلع « فرويد » على الناس بآرائه الخاصة بأن الاضطرابات النفسية للطفل ذات آثار بعيدة تنعكس على حياته فى المستقبل ٠٠

وهكذا جعلت آراء « ديوى » و « فرويد » تكأة لفرض سياسة التساهل والاغضاء عن أخطاء الطفل ، فى الأسرة

والمدرسـة الأمريكيتين .. ومنهما امتدت الى بقية أرجاء العالم !

ديوى وفرويد ينتقدان سياسة التساهل !

والواقع ان أحـدا من الاثنين – ديوى وفرويد – لم يدع الى التساهل التام ، بالشكل الذى قامت عليه اتجاهات التربية بعد الحرب العالمية الأولى .. بل انهما انكرا سـوء تفسـير آرائهما – حين رأيا النتائج التى ترتبت على تلك الاتجـاهات التربوية – فكتب ديوى فى كتابه « التجربة والتعليم » ، الذى أصدره فى سنة ١٩٣٨ :

« **ان الاسراف فى الاستجابة لرغبات الطفل ينتج أثرا مستمرا ، فهو يخلق فيه مطالبة « أوتوماتيكية » بأن يلتزم الناس بالاستجابة لرغباته ونزواته فى المستقبل .. وهذا كفيل بأن يجعله عاجزا عن معالجة المواقف التى تتطلب جهدا ودأبا لمغالبـة العقبات** .. وأن نقص الأخلاق والسلوك فى بعض المدارس التقدمية يرجـع – الى حد ما – الى حرص الأطفال على أن يمضوا فيما يفعلون .. وهذا يعنى فشلهم فى أن يتعلموا درسا من أهم دروس الحياة ، هو التكيف والتوافق المشترك مع من حولهم .. » .

.. كما قال « فرويد » فى كتابه « محاضرات تمهيدية جديدة للتحليل النفسى » : « **ان المهمة الرئيسـية للتعليم ، هى أن يعرف الطفل كيف يسـيطر على غرائزه ونزواته . فمن المسـتحيل ان نكفل له حرية كاملة فى ان يطيع كافة نوازعه ودوافعه دون قيود .. اذ أن هذا يجعل الحياة لاتطاق بالنسبة للوالدين ، كما انه خليق بأن يوقع بالأطفال أنفسهم**

ضررا بالغا . ومن ثم فان وظيفة التعليم والتربية هى الردع ، والمنع ، والقمع . وقد أدت التربية هذه الوظيفة بنجاح يدعو الى الاعجاب ، فى جميع الأزمان . ولكنا عرفنا من التحليل النفسى ان هذا الكبت للغرائز ـ بالذات ـ ينطوى على خطر المرض النفسى » .

ولكن شيئا من هذه التنبيهات لم يوقف تيار سياسة التساهل ، نتيجة « الوهم الجماعى » الذى انتشر بين الآباء والمدرسين .

حيرة الآباء والمدرسين

وهكذا وجد الآباء والمربون أنفسهم فى حيرة بين تيارات متعارضة ، منها :

◆ **ان** التربية الصارمة التى يلقاها الطفل فى نشأته ـ فى البيت ـ قد تكون سببا فى انحرافه ، أو من أسباب تعاسته فى المستقبل ..

◆ **ان** احصاءات المحاكم تدل على أن أكثر من ٦٠ فى المائة من الأحداث المنحرفين ، لهم آباء لا يؤدبونهم !

◆ **ان** التساهل مع الطفل وتملق رغباته يعلمه سوء السلوك ، مادام بوسعه ان يرضى نفسه دون أن يلقى عقابا .. وتكون النتيجة انه لا يتعلم « الصواب » ، ولو عرفه ما حفل به اذا وجده عقبة تعترض لهوه وسروره !

◆ **ان** الطفل لا يخشى الأب الذى يبدى ضعفا .. ولا يحبه ، وانما يستغله فى سبيل رغباته !

وهكذا أصبح الأبوان يعانيان عقدة الشعور بالذنب

والخوف اذا هما اضطرا الى ان يعاقبا ابنهما .. ومع ذلك ، فالمجتمع لا يرحمهما ولا يعفيهما من المسئولية اذا نشأ ابنهما مدللا مفسودا !

كذلك صار موقف المدرسين والمربين تشوبه نفس الحيرة .. فالبيت والمدرسة ، بل المجتمع كله ، فى حيرة ! .. وقد استفحلت هذه الحيرة ، كما استفحل انحراف الأحداث ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وبات الأمر يتطلب علاجا سريعا ..

الطفل نفسه يرحب بالعقاب !

وهنا برز فريق من رجال التربية وعلم النفس ، يطالبون ـ على ضوء تجاربهم وبحوثهم ـ بالعودة الى سياسة التأديب القديمة .. الى العقوبة البدنية ! ففى كتاب « دليل ارشاد الطفل وتوجيهه » ـ الذى صدر فى سنة ١٩٤٧ ـ كتب « ر . ل . جنكينز » يقول : « لا قيام لمعهد لعلاج الأطفال المنحرفين الا بالتأديب .. فالجدل المنطقى ، والسعى الى الاقناع ، لا يفلحان فى كثير من الاحوال » ..

وقال الباحثان النفسيان « لويلا كول ، وجون مورجان » فى كتاب لهما بعنوان « نفسية الطفل والمراهق » ، ان الأطفال ـ الى ماقبل ستين عاما ـ كانوا يتعرضون للصفع ، والضرب ، بل والجلد ، سواء فى البيت أو المدرسة .. « ومن المؤكد أن الأساليب المتطرفة خليقة بأن ننكرها .. ولكن للعقاب « المخفف » قيمة لا تقدر » !

وكتبت الدكتورة « ايرين جوسلين » فى كتابها « الطفل السعيد » ، أن هناك أوقاتا يكون فيها الضرب مظهرا للحب

.. « فالطفل – عادة – يخاف من نوازعه ودوافعه ، وهو يشعر بالأمن اذا مارس الكبار مسئولياتهم وتولوا توجيه هذه النوازع . والعقاب هو وسيلة الوالدين لاظهار استعدادهما لحمل هذه المسئوليات » ..

وفى كتاب « صون أعصاب الأطفال » ، قال الدكتوران جيمس والش وجون فوت : « لا مراء فى أن تساهل الوالدين كثيرا ما يقوى النزعات المنحرفة لدى الأطفال .. وكثيرا ما يكشف تاريخ المجرمين عن انهم كانوا أطفالا عصبيين ، غير مستقرين ، لم يلقوا التأديب اللازم فى صغرهم ، فنشأوا وهم لا يعرفون كيف يكبحون جماح نوازعهم .. »

ولقد تبينت أنا بدورى – من الحالات التى درستها ، ومن البحوث التى أجريتها – ما يؤيد كل هذا .. فالطفل – فى دخيلة نفسه – يرحب بالضرب ، ويفضله على الحيرة التى تتولاه ازاء التمييز بين ما هو « صواب » وما هو « خطأ » .. فالعقاب يحدد له الصواب ، أو يفرضه عليه .. وليس أقسى عليه من أن يتهاون أبواه عن وضع قواعد واضحة يلتزم باتباعها ، أو يعرف – على الأقل – انه اذا لم يتبعها تعرض للعقاب ..

علاقة الاضطرابات النفسية بالتأديب

وكان من الظواهر التى أدهشتنى ، ان مرضاى النفسيين من الصغار كانوا يزدادون تقدما نحو الشفاء – بسرعة تفوق المعدل العادى – اذا ما تحسنت أساليب تأديبهم ، باتباع الوالدين ماكنت أرشدهم اليه من تعليمات

قوامهـا الضرب ، فى الحالات التى كنت أدرك فيهـا – من أحاديث الوالدين – ان الصداع ، أو اضطرابات المعدة ، أو غيرها من أعراض الأمـراض النفسية لدى الأطفـال ، كانت مترتبة على ميوعة فى التأديب !

وهكذا تبينت أن التأديب خليق بأن يقضى – بوجـه عام – على كثير من المشكلات النفسية لدى الاطفال ٠ وبوسعنا أن نخرج من هذا بأن كثيرا من مشكلات الكبار ، ترجع – الى حد كبير – الى أنهم لم يتلقوا تأديبا حازما فى طفولاتهم ٠٠ فان القلق ، والاكتئاب ، والصداع ، وما اليها تنشـأ عن الصراع النفسى الذى ينشأ بدوره عن شعور المرء بأنه متورط فى محنة لا يدرى منها مخرجا ، أو فى موقف لم يدرب عـلى أن يواجهه ويتغلب عليه ٠

وسـاءلت نفسى : ألا يحتمل اذن ان يكون التأديب وسيلة لشفاء الاضطرابات النفسـية ؟ ٠٠ ومن ثم شرعت اتجه فى تجاربى هذه الوجهة ، فسرعان ما لاحظت أن سرعة شفاء المريض كانت ترتبط بسرعة تخلصه من الصراع الناشىء عن محنة أو موقف يحيره ٠٠ وبالتالى ، ترتبط بسرعة حسمه الأمر واتخاذه قرارا بصدده !

ومما عزز اتجاهى أننى كنت أسأل الأبوين عن بداية مرض ابنهما ، فكنت – فى أغلب الحالات – أتبين ان بوادر المرض النفسى كانت تظهر فى ظروف يعجز فيهـا الابن عن التفرقة بين التصرف الموفق والتصرف غير الموفق ٠ فاذا كان الطفل ممن يباح لهم أن يفعلوا ما يشاءون ، فانه كان لا يلبث أن يحتك بالقيود الكابحة فى البيت أو المدرسة أو المجتمع ، فاذا به عاجز عن التفرقة بين السلوك السليم والسلوك غـير

الســـــليم ، فيحدث الاضطراب النفسى . **وعلى مر الأيام ، وتعدد التجارب ، اتضح بجلاء قاطع أن هناك ارتباطا وثيقا بين الاضطرابات النفسية والعصبية ، وبين التأديب ..**

على أننى لم أقنع بتشابه المعلومات التى كنت أحصـل عليها من الأب ومن الأم ومن الطفل ، كل على حدة .. بل عنيت فوق هذا بالتحرى عن الأبوين نفسيهما :

الآباء أصناف .. والأبناء هم الضحايا !

ووجدت الآباء أصنافا عديدة متباينة :

هنـــاك الآباء ذوو النوايا الطيبة . وكل الآباء — فى الأصل — من هذا الصنف ، فهم اذا أهملوا تأديب أولادهم ، فانما يصدرون فى الاهمال عن حسن نية ! .. **وهناك الآباء المسرفون فى التأثر بعلم النفس ونظرياته ، الى درجة تجعلهم يشطون فى الخوف من أخذ أبنائهم بالحزم الصارم .. ومما أدهشـــنى أن بين هؤلاء علماء نفس ومحللين بارعين !! ..** وهنـــاك آباء لم ينجبوا أبناءهم وانما هم أخذوهم بالتبنى ، فهم يسرفون فى الترفق بمن تبنوهم ، بدافع اللهفة والخوف من أن يحرموا من هؤلاء الأبناء .. وهناك أمهات وآباء يكرهون ان يؤدب أزواجهم الحـــاليون أبناءهم من أزواج أو زوجات ســـــابقين .. كما أن هناك أزواج أمهات أو زوجات آباء يؤثرون عدم تأديب ربائبهم تجنبا للمشكلات ، أو نتيجـة لعبارات جارحة من الأولاد ، مثل : « لست أبى — أو لســت أمى — حتى تضربنى » !

وهناك آباء وأمهات يشعرون بمرارة لما كانوا يلقونه على أيدي آبائهم من تأديب ، فهم ينفرون من أخذ أولادهم بالحزم

.. كما أن منهم من أمضهم الفقر فى صغرهم ، فهم يسرفون فى الاغداق على أبنائهم دون حساب أو تقدير لنتائج هذا الاغداق .. كما ان هناك آباء تستغرقهم أعمالهم استغراقا يجعلهم بعيدين عن بيوتهم معظم الوقت ، ويصرفهم عن تقويم أبنائهم . فاذا استمر هذا سنوات متعاقبة ، لم يجد الطفل من يرشده الى الصواب أو الخطأ ، فلا يلبث أن يعانى الاضطرابات النفسية ..

الجد يفسد الحفيد بالحنان المسرف

وهناك آباء - وأمهات طبعا - مغلوبون على أمرهم ، يعيشون مع آبائهم أو أمهاتهم ، فاذا الأجداد يفسدون عليهم تربية الأبناء .. ذلك لأنهم يتمثلون فى الأحفاد الرابطة بين الماضى والمستقبل ، وهم ينشدون حب الأطفال ليساعدهم على تعويض ما لم يعودوا يشعرون به من حب الأبناء ، لانصراف هؤلاء الى شؤون الحياة والعيش .. **ومن ثم فهم يتسامحون ازاء ذنوب الصغار ، ويكتمونها عن الآباء ، بل يحمونهم من العقاب اذا اكتشف الآباء الذنوب .. وهم يسرفون فى الحنان والتدليل الى درجة الافساد !**

كذلك هناك من الآباء من يذهبون فى التبسط مع أولادهم واكتساب ودهم حدا يجعلهم يزيلون كل مظهر لسلطانهم وولايتهم . وصداقة الآباء مع الأبناء مستحبة ، ولكن بحيث لا تمحو سلطان الأب .. **ذلك لأن مهمة الأب أن يكون أبا ، لا زميلا لابنه .. واجبه أن يكون مرشدا ومعلما للابن ، دون أن يضحي بنفوذه وسلطانه عليه ..**

ثم ان هناك صنفا من الآباء يسهل خضوعهم وانسياقهم لسواهم بالفطرة .. ومثل هؤلاء يجب أن يعملوا على تقوية شخصياتهم حتى لا ينسـاقوا لأبنائهم ، والا أوقعوا بالأبناء أبلغ الاضرار . وشـبيه بهؤلاء ، الآباء المرتبكون - الذين يرتبكون ازاء أى موقف ، وهم بالتالى يرتبـكون فى تأديب أولادهم ! - ولكن اســــوأهم جميعا ، الآباء الذين يعانون اضطرابات عاطفية ، كالأب الشقى بزوجته ، فهو يحول حبه لها الى ابنه ، أو الأم التى ليست على وئام مع زوجها ، فهى تعتمد عـلى ابنها فى التعويض النفسى .. وهذا كفيل بأن يعرقل مهمة التأديب ، ويؤدى الى مصاعب كثيرة .

فرض السلوك بالجزاء المتكرر

ونخلص من هذا الى أن التساهل والتسامح من الآباء ، غالبا ما يكون سببا فى ســوء تأديب الأبناء .. ومن ناحية أخرى ، فان الاسراف فى الشدة لا ينتج أبناء ســليمين من الناحيتين النفسية والخلقية ..

وخير الأمور الوسط .. وهذا هو قوام أسلوب « الفرض المتكرر » الذى انتهيت اليه .. فرض السلوك على الطفــل بالجزاء المتكرر ، ســواء كان هذا الجزاء عقابا أو مكافأة ..



وهذا الأسلوب كاف لتأديب الأطفال بين الثانية والثالثة عشرة من أعمارهم .. ويحتاج الى تعديل بعد هذه السن ، نظرا لظروف المراهقة .

وأسلوب « الفرض المتكرر » أشبه بأسلوب « الجزر والعصا » الذى يستخدم فى ترويض البغال العنيدة .. ولكننا هنا نستخدم قطعا صغيرة من الجزر ـ كمكافأة سريعة مباشرة ـ وضربات خفيفة بالعصا ، كعقاب سريع مباشر ، بدلا من ثمرة كبيرة من الجزر ، أو ضربة شديدة بالعصا ، لمرة واحدة .. !

ذلك لأن سياسة الاقتصار على المكافأة لحسن السلوك هى أضعف السياسات التربوية فى اعداد المواطن للمجتمع الذى يعيش فيه .. لأن المجتمع ـ بقوانينه ـ يفترض فى المواطن أن يكون حسن السلوك .. كذلك نجد أن سياسة الاقتصار على العقاب لسوء السلوك قد تكون أفضل من سابقتها ، ولكنها غير كافية .. فهى بمثابة التحذير : « لا تفعل » ، ولكنها لا تدفع الطفل الى ما ينبغى أن يفعل .. **لذلك كانت خير سياسة هي التى تجمع بين الاثنتين : المكافأة عن التصرف الحسن ، والعقاب جزاء التصرف السىء .** ولكن هناك شروطا ومتطلبات يجب مراعاتها لتؤتى هذه السياسة الثمار المنشودة :

الاسراع فى العقاب والمكافأة ضرورى

وأول ما يجب مراعاته هو أن تأخير المكافأة أو العقاب يذهب بفائدة هذه الطريقة .. ذلك لأن تأخير العقاب يوحي

للطفل بأن فى وسعه ان ينجو من نتائج سوء السـلوك مؤقتا ـ وربما نهـائيا ، اذا نسى الأبوان ، أو هدأ غضبهما ـ واذا عرف الطفـل أن العقاب لن ينزل به فورا ، فان التوعد والتهديد لا يعود لهما أثر فى تأديبه !

وكل ما يتطلبه الأمر ، ضربة سريعة مباشرة ـ بعصـا أو حزام ـ على اليد أو على المقعدين ٠٠ أو قرصة معتدلة فى السـاق أو الذراع أو المقعدين ٠٠ فالغرض الأول هو أن يقترن الألم بالتصرف السىء ، فيجب أن تـكون الضربة أو القرصة مؤلمة ، ولكنها ليست من الشدة بحيث تؤذى أو تضر ٠٠ لذلك يجب أن يتجنب الوالدان الانسـياق للغضب عند توقيع العقاب ٠٠

وهناك أساليب اضافية تضاعف من أثر العقاب ، كأن تصحب الضربة حركات من الرأس أو الاصـبع ، مع تكرار كلمة : « كلا ٠٠ لا » ٠٠ وقد تكفى مع الضربة « نظرة » تدل على الاستياء ٠

وما لم تعقب الضربة الأولى ـ اذا اخفقت فى الردع ـ ضربة ثانية حين يتكرر الذنب ، فان العقـاب يضـعف ٠٠ وكذلك الأمر بالنسبة للمكافأة٠ والمهم هو المبادرة السريعة٠ فان قطعة من الحلوى تقدم بمثابرة عقب كل تصرف حسن ، أجدى من دراجة يوعد بها الطفل فى المستقبل ٠٠ **المهم هو الاسراع بتوقيع العقاب أو تقديم المكافأة ٠٠ فاذا تكرر الأمر ، تعلم الطفل ما يحسن به عمله ، فيصبح عادة** ٠٠ وقد أثبتت التجربة أن عقاب الطفل بخمس عشرة ضربة لذنب ارتكبه ، لا يردعه عن العودة اليه ، عملا بالمثل القائل : « علقة تفوت

ما حد يموت » ٠٠ اما ضربه ضربة واحدة كلما ارتكب الذنب، ولو خمس عشرة مرة ، ففيه تعزيز للعقـــاب ، يقره فى نفسه ٠٠

ومن فوائد هذه الطريقة أنها تخفف توتر أعصـــاب الوالدين ، الذى يحدث فيما لو حرماه من الملعب مثلا ، اذ يضطران الى مراقبته للاصرار على منعه ٠٠ كما أنها تحول دون اضرار أشد ، فيما لو حرماه من المصروف ، اذ قد يدفعه هذا للتحايل والسرقة ٠٠

التبكير بالتأديب ينمى ادراك الطفل

وليس العقاب البدنى من القســوة فى شىء ، بل انه أخف بكثير من العقاب النفسى ، كمقاطعة الطفـل فترة ، أو حرمانه من شىء ٠٠ وخير فترة للبدء بهذه السياسة ، هى ممارستها بعد ان يتعلم الطفل الحبو ، وقبل أن يبدأ الكلام ٠ **فان التبكير بالتأديب يســاعد على تنمية ادراك الطفل ، ولا يتركه حتى يتعلم من التجربة التى تستغرق وقتا طويلا ٠ ويحسن – فى معظم الأحوال – أن يعقب العقاب شرح يفسره ويبرره ، وأن يدرك الطفل أن العقاب لم يؤثر على العلاقة بينه وبين والديه ٠**

روى لى صديق من الاطباء النفسيين أن ابنه شرع يعمد الى البكاء والصراخ كوسيلة لمضايقة والديه ٠ فما كان من ابيه الا أن أخذ يقول له : « اذا كنت تريد البكاء والصراخ ، فتعال الى أبيك يساعدك ! » ٠٠ ثم كان يضربه ، فلم يلبث الطفل ان عدل عن هذا الأسلوب بعد بضع مرات ٠

(البقية فى ذيل الكتاب :
انظر رقم الصفحة فى الفهرس)

عودة الوردة الحمراء!



قصة حياة وكفاح

إنديرا غاندى

للكاتب الهندى المعاصر
"خواجا احمد عباس"

INDIRA GANDHI : RETURN OF THE RED ROSE

By : KHWAJA AHMED ABBAS

تلخيص : رمسيس شكرى

خير خلف .. لنهرو وغاندى

كانت وقفة « أنديرا غاندى » من عدوان القوى « الامبريالية » على الدول العربية ـ مستخدمة أداتها الذليلة « اسرائيل » ـ وقفة رائعة نبيلة ، تزرى بمواقف كثيرين من الرجال .. ولا سيما مقاومتها للضغط الشديد الذى حاولت به الولايات المتحدة أن تثنى الزعيمة الهندية عن موقفها ، ملوحة ومهددة بحرمان الهند من المعونات الغذائية ، فى وقت تستبد فيه بها المجاعة ونقص الاغذية !

ذلك أن ((انديرا » فى اختيارها لهذا الموقف النبيل ، انما تصدر عن شخصية قوية بالفطرة ، غذتها تعاليم غاندى ونهرو ، واكسبها جهاد الهند فى سبيل الحرية صلابة وقوة .. كما أنها تصدر عن ادراك للحق والعدالة ، تعززه الروابط الوثيقة التى تربط الهند بالعرب منذ أقدم العصور .. وتصدر عن ايمان برسالة « عدم الانحياز » ، التى استطاعت « أنديرا » بجهودها ونضالها أن تضع نفسها فى مقدمة أقطابها ، مشتركة فى زعامتها مع الرئيسين « عبد الناصر » و «تيتو» ..

ولا يجد « كتابى » تحية للزعيمة النبيلة ، أفضل من أن يقدم التلخيص التالى لخير كتاب حاول مؤلفه ما استطاع أن يرسم فيه صورة صادقة وشاملة لحياة « انديرا غاندى » .. منذ طفولتها ، حتى تبوأت منصب رئيسة وزراء الهند ! (وفى مكان آخر من هذا العدد تقرأ تعريفا بمؤلف الكتاب .)

عندما قادت جيشا .. من الدمى

كان كل شىء يضاعف من شعور الصغيرة ـ التى لم تجاوز الاربع سنوات ـ بالوحشة ، فقد كانت وحيدة .. حتى مربيتها العجوز استلقت على بلاط القاعة البارد ، وأسلمت نفسها لنوم عميق ، وراح غطيطها يرتفع ، مبددا الهدوء الساجى الذى ران على البيت الكبير ..

البيت الكبير نفسه كان يبدو أشبه بالمهجور .. الحجرات التى اعتادت أن تجرى متنقلة بينها ، خلت من أهلها .. فلم يعد أبوها فى المكتبة التى حط الغبار على الكتب المنسقة على رفوفها .. ولم تعد أمها فى حجرتها التى اعتادت أن تقتحمها عليها لتطلب شريطا جديدا لشعرها .. وخلت حجرة جدتها من العجوز التى كانت الطفلة تقطع عليها صلواتها .. حتى جدها الشيخ ، لم يعد يحتل مكتبه الذى كانت تدلف اليه ، وتدعو نفسها الى الجلوس على ركبة المحامى العجوز وهو يتناقش مع عملائه فى قضاياهم .

خلا البيت الا منها ومن المربية العجوز .. **فقد كان أبوها وجدها نزيلين على السجن الذى ساقهما اليه رسل الاستعمار الغاشم .. أما أمها وسائر نسوة البيت الكبير ، فقد بارحن المعقل الحصين لينظمن الاجتماعات العامة ، وليقنعن أصحاب متاجر الاقمشة بمقاطعة بضائع المستعمر البريطانى ..**

واذ افتقدت الصغيرة الآدميين ، تحولت الى الدمى التى كانت حجرتها حافلة بها .. دمى من كل حجم وشكل ولون ، تمثل كل طبقات الشعب الهندى تقريبا ، وقد صنعت من الفخار .. ودمى تمثل جنودا من الجيش البريطانى ، ورجال شرطة من الهنود ذوى عمائم حمراء ، وقد صنعت من القصدير . وبايحاء فطرى ، رصت « آنديرا » الدمى الممثلة للشعب الهندى فى جانب ، والدمى الممثلة لسلطات الاستعمار – من جنود وشرطة – فى مواجهتها .. وعلى وريقة بيضاء رسمت بأقلام « الباستيل » علم « حزب

المؤتمر » ، الذى تزعم ثورة الهند ٠٠ وأسلمت العلم الى يد الدمية التى تتقدم ممثلى الشعب !

وتأملت المنظر الذى اكتمل أمامها لحظات ، ثم راحت تزحزح كل فريق بدوره نحو الفريق الآخر ، حتى ضاقت الشقة بينهما ، وكادا أن يرتطما ٠٠ واذ ذاك ارتفع صوتها مرددا الهتافات التى كانت تسمعها فى التحامات الشعب الهائج بغاصبيه : « لتحيا الهند مستقلة ! ٠٠ يحيا تحالف الهندوكيين والمسلمين !٠٠ يحيا المهاتما غاندى ! »

وغلبتها عاطفة فطرية ، فدفعت الدمى الممثلة للشعب، واكتسحت بها دمى الاستعمار ، ثم راحت تصفق وتصيح ، حتى استيقظت المربية مذعورة ، وهبت تتبين ما هناك !

خلوة روحية ٠٠ قبل معركة الانتخاب !

بعد ٤٨ عاما ، قفزت هذه الذكرى الى ذهن « أنديرا غاندى » ، وهى تقود سيارتها بنفسها ــ فى صباح ١٩ يناير ١٩٦٦ (يوم انتخابها رئيسة لحزب المؤتمر) ــ فى طريقها الى صومعة (راج جات) ، حيث كان المهاتما غاندى يمارس طقوسه الروحية ، وحيث يحج معظم الهنود ، على اختلاف عقائدهم ، فى اللحظات الحاسمة من حياتهم ، يستمدون القوة الروحية والالهام من ذكرى غاندى ٠

وانبعث منظر الدمى أمامها من أعماق الاعوام الثمانية والاربعين التى انقضت مذ كانت فى الرابعة من عمرها ٠٠ كان اليوم الذى مارست فيه هذه « اللعبة » التى كشفت ــ برغم سذاجتها ــ عما انطوت عليه نفسها من مشاعر

وطنية .. كان ذلك اليوم من الايام الحاسمة فى حياتها ، اذ عانت فيه الحرمان من أحب المخلوقات اليها ، والسخط على المستعمرين الذين حرموها من أولئك الاحباء ..

وكذلك كان يوم ١٩ يناير سنة ١٩٦٦ من الايام الحاسمة فى حياتها : لقد كان عليها أن تقف فيه - برقة عواطفها ، وشفافية روحها ، وتحرر عقليتها - أمام منافس عنيف ، شديد التطرف لليمين ، شديد الجمود ، جامح التشبث باحياء الطقوس العتيقة .. كان عليها أن تقف أمام هذا الرجل « مورارجى ديساى » فى اجتماع حزب المؤتمر لاختيار زعيم له ، يرأس الوزارة ، ويقود الامة فى فترة من أحرج الفترات ، عقب وفاة « شاستری » ، (الذى خلف أباها « جواهر لال نهرو » لمدة لم تزد على عام ونصف عام فقط .)

ومن صومعة (راج جات) ، مضت « أنديرا » الى صومعة (شانتيفالا) التى كانت آخر صومعة لابيها .. وما لبثت أن عادت الى البيت .. نفس البيت الكبير الذى كانت زهرته المدللة فى صغرها ، وأصبحت مدبرته وماسكة زمامه فى كبرها .. وهناك ، أوت الى مكتب أبيها ، فوقفت أمام صورة كبيرة لذلك الاب الذى كان أعظم شخصية فى حياتها .. فالى جانب الابوة الحنون الواعية ، عوضها عن الأم سنوات طويلة ، وأغناها عن الرفيق فكان خير صديق.. وخير معلم أيضا . فان « أنديرا » لا تدين بكل ما وصلت اليه من معرفة الى معهد ما، بقدر ما تدين به الى ذلك الرجل الذى كان يواصل تغذيتها الفكرية حتي وهو في غياهب السجن،

فأثرها بأكثر « الدروس بالمراسلة » شمولا وتنويرا ، فى سلسلة رسائله التى جمعت - فيما بعد - فى كتاب نهرو الخالد : « لمحات من تاريخ العالم » .

وفى صومعة أبيها ، خيل اليها أن صوته ينبعث من العالم الآخر ، يردد لها العبارات التى كتبها منذ سنوات ، وهو يهنئها بعيد ميلادها :

« اعتصمى بالشجاعة ، وستسير كل الامور بعد ذلك تلقائيا .. فاذا أوتيت الشجاعة ، فلن تخافى ، ولن تقدمى على ما تخجلين منه !

« لنتصادق مع الشمس ، ولنعمل فى النور .. لا تفعلى شيئا فى الخفاء أو دون هدف . وبهذا تصبحين ، يا عزيزتى ، ابنة النور .. وتنشئين رزينة ، مقدامة ، لا تهز لك الاحداث جفنا .

« الى اللقاء يا صغيرتى ، وعسى أن تشبى جندية باسلة فى خدمة الهند » .

وبهذه العبارات تتردد فى نفسها ، سعت « أنديرا » بعد ظهر ذلك اليوم - ١٩ يناير ١٩٦٦ - الى قاعة البرلمان الوسطى بنيودلهى ، حيث كان « حزب المؤتمر » يعقد اجتماعه الخطير .. الخطير بالنسبة للهند ، والخطير بالنسبة للحزب ، والخطير بالنسبة اليها هى .. « أنديرا غاندى » .

وعند باب القاعة، تمثل لها أبوها «جواهر لال نهرو»، وهو يلقى بيانه الخالد ، ليلة اعلان استقلال الهند ، فى هذه القاعة بالذات ، قبل سنوات .. وواتتها أصداء صوته ، وهو يقول :

« منذ سنوات طويلة ، ضربنا مع الحرية موعدا ، وقد آن أن نفى به ٠٠ وعندما تدق الساعة مؤذنة بانتصاف الليل ، والعالم مستغرق فى سبات عميق ، تستيقظ الهند ، وتنهض للحياة والحرية ٠٠ ستكون لحظة من لحظات التاريخ النادرة ، اذ نودع القديم لننتقل الى الحديث ، وينطوى عهد ليولد عهد جديد ، فتجد الامة ـ التى طالت معاناتها من الكبت ـ وسيلة للتعبير عن ذاتها ٠٠ »

وعندما هبطت أنديرا من سيارتها أمام مدخل البرلمان ، وابتسامة عذبة رزينة ترتسم على شفتيها ، شاهدها الحشد الكبير ـ الذى سبقها الى هناك ـ ترتدى « ساريا » آبيض اللون ، ووشاحا من الكشمير ، أبيض اللون آيضا ، زينته بوردة حمراء ! ٠٠ ولم يفت الجماهير مغزى وجود الوردة التى ترمز الى نهرو ـ (فقد عاش حياته مولعا بوضع وردة حمراء فى سترة ردائه الهندى) ـ فانطلقت الجماهير تهتف بحياة « الوردة الحمراء » ٠٠ وكأنما أراد الشعب وهو يحيى زعيمته الجديدة أن يقول لها أنه اذ يعهد اليها بزمام أموره فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه ، انما يناشدها المضى فى الطريق الذى رسمه والدها العظيم ٠٠ وعندما ردت « آنديرا » تحية الشعب بيدين مضمومتين ، انما كانت تعاهده على آن تصون القيم التى التزم بها « جواهر لال نهرو » ، وتسير على سياسته ٠

وفى الداخل ، استقبلها أعضاء الحزب استقبالا حماسيا ، فلما لمحت منافسها « مورارجى ديساى » ، تقدمت نحوه مصافحة ـ وكانت لفتة نموذجية من لفتات نهرو ، قوبلت بهتاف مدو من الحاضرين ! ـ ثم حان موعد الاقتراع السرى



أنديرا غاندى تحلف اليمين لدى توليها الوزارة رسميا يوم ٢٤ يناير
١٩٦٦ أمام رئيس الجمهورية « رادا كريشنان »

على اختيار رئيس الوزراء ٠٠ وبعد فترة وجيزة ، فى الساعة الثالثة الا دقيقتين ، اندفع نائب اقليم « ماهرشترا » نحــو « أنديرا » يهنئها بصوت مرتفع ٠٠ فعرف الجميع أن « أنديرا » قد فازت على منافسها ٠٠ فغدت أول وأصغر رئيســه لوزارة الهند !

وبين ومضات مصابيح المصورين وأصوات « كاميرات » السينما والتليفزيون وأجهــزة التسجيل ، أفلت من المجتمعين ــ بما فيهم أكثــر الاعضاء رزانة وتعقــلا ــ زمام عواطفهم ، فأقبلوا عــلى بعضهم البعض يتعانقون ويتبــادلون القبلات ، وانسابت الدموع الساخنة على بعض الوجنات المسنة المتغضنة، وقد شاهد أصحابها صورة الأب ٠٠ فى وجه الابنه ! ٠٠ أما فى الخارج ، فقد ارتفع هــدير عشرات الألوف من الحناجر ، هاتفا مجلجلا ، ولكن لا باسم « أنديرا » نفسها ، وانما بحياة « ابنــة جواهر لال نهرو » ! ٠٠ ذلــك أنهم ــ بالهام خلاق لا يخطىء ــ شــعروا ، ورجوا ، وتوسموا ٠٠ أن نهرو ، ذا الوردة الحمراء ، قد عاد ثانية الى الحياة !

مذبحة (البنجاب) ترسخ فى وعى الطفلة أنديرا !

ولقد كانت « أنديرا » عــلى موعد مع الاحداث منــذ مولدها ٠٠ أحداث الثورة والجهاد والكفاح من أجــل الحرية والحياة ٠٠ فقد ولدت سنة ١٩١٨ ، والحرب العالمية تقترب من نهايتها ، والثورة البلشفية تندلع فى روسيا ٠٠ وروح التذمر تعتمل وتتفاعل فى صدر الامة الهندية ، لتتفجر بعد ذلك فى اجتماعات ومظاهرات تنادى بالاستقلال ، فتقابلها قوات الاستعمار البريطانية بأقسى طرق القمع والارهاب !

وعندما بدأ وعى « أنديرا » يتفتق ، كانت الثورة – التى سماها المستعمرون بعجرفتهم « تمردا » – قد اندلعت .. وحاصر جنود الاستعمار آلاف المتظاهرين فى ولاية (أرمتسار) وحصدوهم بنيرانهم حصدا .. وكان « جواهر لال نهرو » قد بدأ يسهم فى الحركة الوطنية ، فسافر الى (البنجاب) وعاد والحقد يتأجج فى صدره ، ليروى لأسرته أنباء المذبحة الرهيبة .. فكانت الصغيرة تغمض جفنيها كل ليلة على أحاديث نقمة شعب على غاصبيه، بدلا من الحكايات والاساطير التى تسلم الصغار أمثالها للنوم !

وكانت « أنديرا » فى الرابعة من عمرها ، حين جلست على حجر جدها « موتيلال » أثناء محاكمته .. وكان الانتماء الى « حزب المؤتمر » جريمة ، قضت عدالة الاستعمار عليه من أجلها بالسجن ستة أشهر ، وغرامة قدرها خمسمائة روبية .. وعندما انتزعوها من أحضان جدها ، شرعت فى البكاء ، ولكن الشيخ أهاب بها أن تثبت شجاعتها ، فلا تذرف دمعة أثناء غيابه .. ووفت بوعدها ، فأصبح الصمود للاحداث القاسية عادة تأصلت فيها !

ولكن القدر كان يدخر لانديرا لطمة أخرى ، فسرعان ما افتقدت أباها ، اذ صدر ضده حكم مماثل لما قضى به على جدها ، لتوزيعه منشورات تحض على كراهية الحكومة. وقد رفض الاثنان – موتيلال ، وجواهر لال نهرو – أن يدفعا الغرامة ، لعدم اعترافهما بسلطة المحكمة الانجليزية ، فما كان من الحكومة الا أن أرسلت كوكبة من رجال الشرطة الى



« أنديرا » فى طفولتها الباكرة ، مع أبيها وأمها

بيت عائلة « نهرو » ، داسوا بأحذيتهم الثقيلة أحواض الزهور الجميلة ، فى حديقة البيت ، ثم اقتحموا المبنى ليستولوا على ما فيه من رياش ثمينة ، لقاء الغرامة غير المدفوعه !

وانتاب الذعر « أنديرا » - ذات الاعوام الاربعة - وهى تشاهد رجال الشرطة الغلاظ القلوب يحملون الاثاث الثمين والسجاجيد الفاخرة ، فيلقون بها فى سيارات كبيرة أحضروها لهذا الغرض . واحتجت الصغيرة على سلوك رجال الشرطة ، وصاحت فيهم غاضبة ، وهزت قبضة يدها فى وجوههم الداكنة الكئيبة ، الا أن ذلك لم يحرك ذرة من الشفقة فى قلوبهم ، بل انفجروا فى ضحكات مخبولة .

وكانت تلك هى البداية المحزنة لثقافة « أنديرا غاندى » فى ميدان السياسة . فمنذ تلك اللحظة ودعت سذاجة الطفولة البريئة الخالية من الهموم ، لتنغمس فى خضم المعارك والمشكلات .

أول عهدها بالمهاتما غاندى

ولا تذكر « أنديرا » المرة الاولى التى التقت فيها بالمهاتما غاندى ، ولكنها لا تذكر أيضا لحظة واحدة لم يكن فيها « غاندى » جزءا من حياتها ووجدانها ، على حد قولها . فقد كان ينزل دائما فى ضيافة أبيها فى بيت «أناندبهاوان» كلما ذهب الى مدينة (الله أباد) . ولما كان مشغوفا بالاطفال عامة ، فقد أغرم بانديرا منذ حداثتها . وعندما سجن أبوها وجدها اضطرت الى الانتقال - مع بقية نسوة البيت - الى صومعة « غاندى » بالقرب من مدينة (أحمد أباد) ، حيث

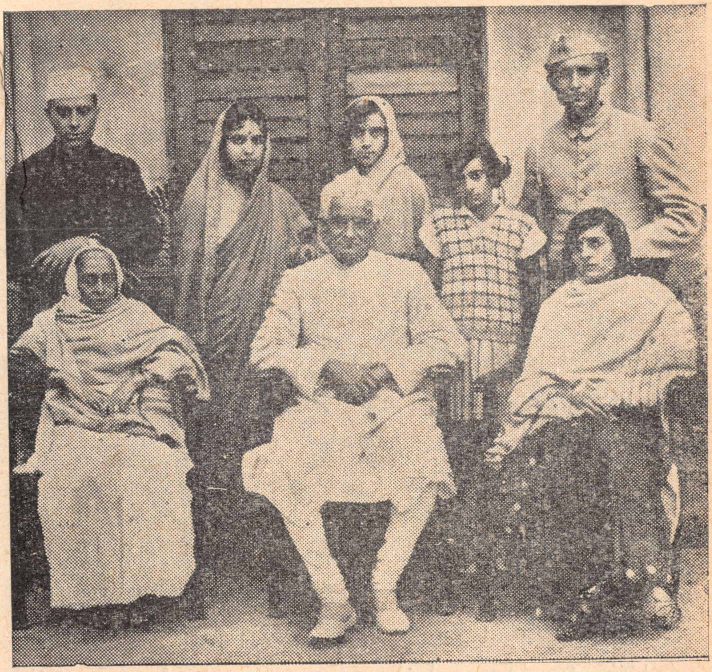
كان حزب المؤتمر يعقد مؤتمره السنوى . ولم تلبث الفتاة الصغيرة - التى تورمت عيناها من فرط البكاء - أن وجدت السلوى لدى الرجل العطوف الطيب القلب «المهاتما غاندى».

ولا ريب فى أن نظام الحياة فى الصومعة كان قاسيا ، بالنسبة لطفلة ألفت حياة الترف فى بيت أبيها . فقد كان عليها أن تستيقظ فى الساعة الرابعة صباحا لتشترك فى حلقة الصلاة على ضفة نهر (سابرماتى) ، وأن تقنع بأبسط أنواع الطعام ، وأن تنام على الارض وتغسل البلاط .. ولكن هذه الحياة القاسية هى التى أعدتها منذ الصغر لاحتمال مسئوليات ينوء بحملها أعتى الرجال وأقواهم .

وكما كانت « أنديرا » تعد الأيام والليالى فى انتظار الافراج عن أبيها وجدها ، كان نهرو يفتقدها أيما افتقاد ، فكتب اليها بعد شهرين من اعتقاله - برغم أنها لم تكن قد تعلمت القراءة - قائلا : « الى العزيزة الصغيرة أندو .. حبى وأشواقى . ليتك تتعلمين تحرير الخطابات سريعا ، وتأتين لزيارتى فى السجن . اننى جد مشوق الى رؤيتك . هل تعلمت استخدام المغزل الذى اشتراه لك جدك ؟ ابعثى الى بغزل من صنع يديك . هل تشتركين مع أمك فى الصلاة كل يوم ؟ »

وكادت « أنديرا » تطير فرحا عندما وافتها الانباء باطلاق سراح أبيها ، فقد حسبت أنها ستخلو به أخيرا ، ليلعب معها ويصحبها فى نزهات طويلة ، وليجيب على كل الاسئلة التى كانت تتزاحم فى رأسها الصغير . وتحققت أمنيتها فى بادىء الامر ، اذ قضى نهرو فترة فى بيت

(أناند بهاوان) ، كرس فيها معظم وقته وحبه واهتمامه لابنته الصغيرة ، الا أن دواعى الكفاح ما لبثت أن اضطرته للانفصال عنها ، والقيام بالجولات السياسية ، والقاء



صورة عائلية تجمع بين أنديرا غاندى وهى فى سن ١٢ سنة (الثانية الى اليمين) ، وأبيها نهرو (أقصى اليسار) ، وأمها (الجالسة فى أقصى اليمين) ، وجدها وجدتها الجالسين بجوار أمها .

الخطب ، وحضور المؤتمرات ، ومحاولة تأسيس شبكة من تنظيمات حزب المؤتمر فى المدن والقرى .

وفى ذلك الوقت ، دخلت « أنديرا » المدرسة ، ولكنها راحت تتنقل من مدرسة الى أخرى .. من روضة أطفال فى دلهى ، الى مدرسة للراهبات ، ثم الى مدرسة داخلية . حتى اذا بلغت السادسة ، التحقت بمدرسة «القديسة سيسيليا» فى (الله أباد) ، وكانت تديرها بعض الاوربيات .

وعلى كثرة المدارس التى ترددت عليها « أنديرا » ، فانها حرمت من رفقة أقرانها فى السن ، فقد حال دون بقائها فى مدرسة واحدة ، تعاقب ارسال أبيها الى السجن، واصابة أمها بداء الدرن الرئوى - الذى لم يكن الطب قد اهتدى بعد لعلاجه - الا أن ثمة مدرسة واحدة كانت مفتوحة لها دائما ، وفى كل وقت .. تلك هى مكتبة أبيها التى تزخر بالكتب فى جميع الموضوعات ، فأقبلت تلتهم كل ما يقع بين يديها من المعلومات بنهم عجيب .. بما فى ذلك مسرحيات « شكسبير » و « شو » ، فى الوقت الذى كانت لداتها ما زلن يقرأن حكايات الاخوين « جريم » الخرافية . وقد تركت قصة استشهاد « جان دارك » انطباعا خاصا فى نفسها ..

وفى ذات مرة ، سألتها معلمتها عما تحب أن تكون عندما تكبر ، متوقعة أن يكون جوابها : « معلمة أو طبيبة أو محامية » .. فاذا أنديرا تجيب : « أريد أن أكون امرأة من طراز جان دارك » .. ذلك أن ثورة الدمى كانت قد تطورت لديها ، وتحولت الى افتتان بالاستشهاد !

الرحلة التى حرمت من الاشتراك فيها

وفى فبراير عام ١٩٢٧ سافر « جواهرلال نهرو » الى (بروكسل) لحضور مؤتمر الدول المغلوبة على أمرها ، مندوبا عن حزب المؤتمر الهندى .. ثم عاد ليحكى لأسرته كيف تسابق مبعوثو الدول المختلفة لحضور المؤتمر ، من جاوه ، والهند الصينية - فييتنام الآن - وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، والزنوج الافريقيين ، والمنظمات العمالية اليسارية فى أوربا وأمريكا .. كل هؤلاء اجتمعوا وناقشوا مشكلاتهم المشتركة ، وكونوا اتحادا ضد « الامبريالية » مهمته اثارة الكفاح ضد الاستغلال الاستعمارى .. وكانت « انديرا » تزداد يقينا من صواب هذه الخطوة كلما شاهدت اشراقة الامل على وجه أبيها وهو يتحدث عنها ..

وما لبثت أن رحلت الاسرة كلها - فيما عدا « انديرا » - الى (موسكو) ، تلبية لدعوة وجهت اليها بمناسبة العيد العاشر لثورة أكتوبر . وكأنما أراد « نهرو » أن يعوض صغيرته عن حرمانها من هذه الرحلة ، فراح يبعث اليها بخطابات ضمنها تفاصيل ما كان يشاهده فى موسكو أولا بأول .. ولما كانت انديرا تكتم فى صدرها رغبة دفينة فى تعلم فن الرقص ، فقد خلب لبها وصف زيارة الاسرة لمسرح (البولشوى) ذى الشهرة العالمية ..

فرقة « القرود » للاطفال المجاهدين !

وبعد أيام من عودة الأسرة من (موسكو) ، جلست « انديرا » تقلب صفحات « ألبوم » الصور التى التقطها



أبوها لمعـــالم المدينــه ، وهى تحـــاول آن تتشاغل عن مرارة الشـــعور بخيبـــه الامل التى تعتمل فى نفســـها ، اذ رفض المسئولون عن « حزب المؤتمر » ضمها الى عضويته ، لصـــغر سنها ـ فقـــد كانت حينذاك فى الثانية عشرة من عمرها ! ـ ولكن الملل لم يلبث آن تسرب الى نفسها فآغلقت « الآلبوم »، ونهضت لتعيـــده الى مكانه ، واذا بها تلمح الدمى التى كانت تلهو بها ـ فيما مضى ـ راقدة فى قاع الصـــوان ٠ وعـــلى الفور خطرت فى ذهنها فكرة رائعة : اذا كانت قد استطاعت ان تجعل الدمى تسير متحدية قوات الاحتلال البريطـــانى ، فكيف لا تســـتطيع ان تجمع الأطفال معا فى منظمة واحدة خاصة بهم ؟

وأسرت بخواطرها الى بعض أطفال حيها ، فاتصـــلوا بزملاء لهم ، وسرعان ما تواترت الانباء ـ همسا ـ فى كل مدارس (الله أباد) ، بأن الأطفال ينشـــئون تنظيما تابعا لحزب المؤتمر ، وان « انديرا نهرو » هى التى تتزعم هـــذا التنظيم ٠

وفى أول اجتماع للتنظيم الجديد ، وقفت « انديرا » وسط ألوف عديدة من الأولاد والبنات ، لتحدثهم عن اهداف

التنظيم ، ولتحدد لكل منهم واجباته . الا ان صوتها الخافت ضاع وسط صخب الحاضرين ، فلم تجد بدا من أن تطلب الى احد العاملين بحزب المؤتمر أن يعيد عليهم تعليماتها بصوته الجهورى المرتفع ..

ولم يقنع الأطفال بمجرد التدريب على السير بخطوات عسكرية ، بل أخذوا يقومون بنسخ منشورات حزب المؤتمر وتوزيعها ، واعداد الاعلام وباقات الورد للمؤتمرات والمواكب الشعبية ، وطهو الطعام للمتطوعين الذين كانوا يبيتون فى مراكز الحزب ، وتوزيع الماء على المتظاهرين الظامئين فى شهور الصيف المحرقة ، ولكن أخطر مهمة قاموا بها تمثلت فى نقل الرسائل من فرد الى فرد ، أو من جماعة الى جماعة ، لا سيما حين كان الشرطة يطاردون أعضاء الحزب ويضيقون عليهم الخناق ..

وما زالت « انديرا » تذكر تلك الفترة بالزهو والاعتزاز ، وقد وصفتها يوما لاحد المحققين الصحفيين ، فقالت : « فى بعض الاحيان كان الشرطة يحاصرون بيتا ، فلا يستطيع أحد ممن بداخله ارسال اية كلمة الى الحزب .. وعندئذ كان المحاصرون يبعثون بطفل يندفع متواثبا خلال خطوط الشرطة ، فلا يثير شكوكهم تواثبه البرىء ، بينما هو قد حفظ عن ظهر قلب رسالة من يعنيه الامر ! ..
وفى أحيان أخرى كان الأطفال يقومون بمهام « المخابرات » ، فما أكثر ما كان رجال الشرطة يتحدثون ، وهم جالسون أمام المركز ، عن مجريات الأمور : من الذى صدر الأمر بالقبض عليه ، وما هو المكان الذى سيداهمونه .. وغير

ذلك من الأمــور التى كانت تهم حركة الشعب ٠٠ وما كان أربعة أو خمسة أطفال يلعبون « الحجلة » أمام قسم الشرطة ، ليجتذبوا انتباه أحد ، ولكن ٠٠ لا ينقضى وقت طويل ، حتى تكون أنباء الشرطة قد وصلت الى رجال حركة المقـــاومة ، فيتصرفون بما يقتضيه الموقف ! »

وهكذا كانت جهود الأطفال نافعة ، وتتسم بالاحساس بالمسئولية ، فما لبث الكبار - حتى أشدهم ســـخرية من الفكرة فى بادىء الأمر - ان اقتنعوا بجدوى العمـل العظيم الذى كان الأطفــال يؤدونه ٠ أما « جواهرلال » فقد اهتز طربا ، وامتلأ صدره زهوا بمهارة ابنته التنظيمية ، ومقدرتها القيادية ٠

وذات يوم ، قالت « أنديرا » لامها أنهم كانوا يبحثون عن اسم لائق للتنظيم ، فأجابتها الأم مبتســمة : « لماذا لا تطلقون عليه اسم فرقة القرود ؟ » ٠٠ وأحسـت أنديرا بالألم لحظة ، اذ حسبت ان أمها قصـدت الانتقاص من قدر عملهم الوطنى ٠٠ ولـــكن « كمالا » - أمها - طيبت خاطرها بتذكيرها بأسطورة جيش « هونومان » ، الذى كان يتكون من القرود ، والذى ساعد « راما » على التغلب على « لانكا » ، وانقاذ الأميرة الجميلة « سيتا » المسجونة داخل أسوار قصر (رافانا) الذهبى ٠٠ كما تقول اسـطورة هندية قديمة ٠ وسرعان ما أصبح اسم « فرقة القرود » بمثابة وسام شرف بالنسبة لأطفال مدينة (الله أباد) الذين لعبوا - بطبيعـة الحال - كثيرا من ألعاب القرود على رجال الشرطة فى معظم الأحيان ، وعلى آبائهم ومعلميهم أحيانا أخرى ٠

أما قائدة الفريق « انديرا » ، ذات الجسد النحيل — حتى ليتصور الانسان انها توشك أن تطير بتـأثير أقل نسمه هواء — فقد أحست أخيرا بالرضى ، اذ استطاعت ان تؤدى فى الحركة الوطنية دورا جديرا بابنة جواهرلال نهرو !

٩٦ خطابا ، من السجن ، خلال ٤ سنوات

فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٣٠ — عيـد ميلاد « أنديرا » الثالث عشر — ارسل « نهرو » الى ابنته رسالة من سجن (نيانى) الذى لا يبعد كثيرا عن (الله أباد) ، قال فيها : « انك اعتدت ان تتلقى الهدايا والامنيـات الطيبة فى عيد ميلادك . أما الامنيـات الطيبة فاننى ارسل اليك منها اكبر نصيب .. وأما الهدايا ، فأية هدية أستطيع أن ابعث بها من سـجن (نيانى) ؟ .. ان هداياى لا يمكن أن تكون مادية ، بل لابد أن تكون هواء وعقلا وروحا ، بحيث تتمكن عرائس الجن الطيبات ان تحملنها اليك ، دون ان تقف جدران السجن العالية فى طريقهن » .

وقد كان هذا الخطاب بداية لسلسلة بلغت ستة وتسعين خطابا ، حررها « نهرو » الى ابنته — طوال أربع سنوات — من عدة سجون مختلفة . وهى تكشف عن شخصية الأب كما تكشف عن شخصية الابنة ، وعن رابطة الحب والتفاهم التى كانت تجمع بين الاثنين . فنهرو لا يتحدث فيها الى « انديرا » كما يتحدث الأب المعتز بسطوته واتساع معارفه الى ابنته الصغيرة المحتـاجة الى مواعظه ونصائحه ، وانما هو يتحدث اليها حديث الصديق الى الصديق .. وهو يذكرها — فى الخطاب الاول — بافتتانها الشديد بقصة كفاح جان دارك ، وكيف كانت تطمع فى القيام بدور كدورها ، ثم يختتم حديثه قائلا :

« لكم أنت سعيدة الطالع اذ تشهدين الصراع العظيم الذى يدور فى بلدنا من أجل الحرية .

« ولكم أنت سعيدة الطالع أيضا لان لك أما رائعة بالغة الشجاعة . فلو



أنديرا غاندى مع أبيها « نهرو » ووالدتها « كمالا » أثناء رحلة لهم الى (سيلان) أثناء حركة التحرير .

قدر المشمك أن يساورك ، أو للمشاكل أن تعترضك ، فلن تجدى صديقة افضل منها ٠٠٠ »

وقد نبعت فكرة سرد نهرو لأحداث الماضى – فى رســـائله لابنته – وتحليله لشخصيات الناس الذين عاشوا فى العصور السابقة – «لا سيما الذين لعبوا أدوارا بارزة على المسرح العالمى » – من رغبتـــه العارمة فى أن يتيح لابنته تسلية تنطوى على التثقيف ، وهى تقيم وحيدة فى البيت الكبير ، اذ كانت امها بدورها نزيلة السجن أيضا ٠٠

وقد مضى يحدثها فى خطاباته التالية عن الحضارات القديمة ، كحضارتى المصريين والاغريق ، كما كان يصارحها بقلقه الشديد بشأن صحة أمها التى زادت عليهـا وطأة المرض فى الســـجن ، وابيه الذى بدا عليه الهزال الشديد !

لقاؤها الأول ٠٠ مع لغز الحياة والموت !

وقد عرفت « أنديرا » قسوة الفواجع ، يوم سمعت نبـــأ وفاة جدها المجاهد الكبير « موتيلال نهرو » ٠٠ فلاح عليها الذهول ، وراحت تدور فى ممرات البيت ، وتختلس النظر من خلال الستائر ، وكأنها كانت تبحث عن الوجه الحبيب الذى قدر عليها ان تحرم منه الى الأبد ٠٠ ووقفت الفتاة ابنة الأربعة عشر عاما ، امام لغز الحياة والموت ، لأول مرة ٠٠ وعنـــدما عادت الى مدرستها ، كانت قد خلفت عهد الطفولة الساذجة السعيدة وراء ظهرها !

وبعد عام من اطلاق سراح « جواهر لال نهرو » ، وجد نفسه يعود الى السجن ثانية ، فكتب لابنته :

« كل الطرق تؤدى فى هذه الأيام – طال الأمد أم قصر – الى جهـــة واحدة ٠٠ وكل الرحلات – الخيالية منها والحقيقية – تنتهى حتما الى السجن ! ٠٠ وهكذا اعود مرة اخرى خلف الجدران المألوفة ٠ لقد نشب القتـــال من جديد ، وسارع شعبنا – الرجال والنساء ، الصبيان والبنات – للمســاهمة

فى معركة الحرية وانقاذ الوطن من العنة الفقر . الا ان الحرية ربة صـــعبة المنال ، وهى أبدا تطالب مريدها بمزيد من التضحيات البشرية ! »

وبعد ذلك باشهر قليلة ، اعلن « غاندى » قراره بشأن « الصيام حتى الموت » - وهو فى السجن - احتجاجا على اضطهاد طائفة المنبوذين وســوء معاملتهم ، فكتب نهرو الى « انديرا » معبرا عن اعجابه بقدرة «الرجل الجالس فى سجن يرفادا » على جذب الخيوط التى تحرك قلوب الناس .. اذ سرعان ما استجاب الهنود جميعا لدعوته .

وكان قلب « انديرا » بين القلوب التى حركتها خيوط المهاتما الخفيه ، فاسرعت مع بنات عمها لزيارته فى السجن .. وقد تعزى غاندى كثيرا عندما شاهد السعادة تشرق على وجه ابنة تلميذه وصديقه وزميله فى الكفـــاح . ولكن هذه السعادة كانت مجرد ستار اسدلته « انديرا » على وجهها لتخفى قلقا فظيعا كان يعتمل فى قلبها : اذا لم يستطيع جسم المهاتما النحيل أن يحتمل الصيام ، فماذا يستطيع الجميع - وماذا تستطيع هى ان تفعــل - لانقاذ حياته ؟ ..

كان الحل الوحيد هو ان تثبت الأمة كلها له ان احدا لم يعد يوافق على الظلم الاجتماعى الذى كان المنبوذون يعانونه .. وانتهزت « انديرا » فرصة اجتماع عقد خصيصا للصلاة من اجل حيــاة الزعيم الروحى العظيم ، فوقفت تخاطب الجماهير المحتشدة قائلة : « ان المهاتما لا يحتاج الى صلواتكم قدر ما يحتاج الى اعمالكم .. فليفعل كل منا شيئا لانقاذه ! » .

وفى صباح اليوم التالى ، ترجمت قولها الى عمل : فتبنت ابنة فراشة المدرسة الفقيرة ، وكانت من طائفة المنبوذين .. وادخلت الفتاة المسكينة الى الحمام ، وصففت شعرها بعد ان دهنته بالزيت ، وكستها بثوب جديد نظيف دفعت ثمنه من مصروفها الشخصى ، ثم جعلتها ترقد الى جوارها فى الفراش . واستولى على « انديرا » احساس بالدفء والســعادة ، عندما احست بقلب الفتاة « المنبوذة » يخفق بجوار قلبها ! ..لقد فعلت شيئا كانت تؤمن عــن يقين بأنه يسهم فى انقاذ حياة معلمها !

معهد تاجور يفتح أمامها أبواب عالم الفن

ساد الهرج والمرج فتيات المعهد ، ورحن يتناقشن بأصوات مرتفعة - تتخللها الضحكات - بشأن شخصية الفتاة التى كن ينتظرن حضورها بين لحظة واخرى :

- هل تعرفن من التى ستصل اليوم ؟

- لا أعتقد أنها ستقبل الحياة معنا ، كواحدة منا ؟

- سمعت ان الديها فى البيت عشر خادمات يقمن بشـــئونها ، فهى لا تحرك اصبعا !

- أغلب الظن أنها تنتظر منا ان نقدم لها الافطار فى الفراش !

- سمعت انها تصنع ثيابها من « الشيفون الفرنسى » .

ولكن الثرثرة والضحكات ما لبثت ان تجمدت على شفاه الطالبات حين شاهدن فتاة فى السادسة عشرة تقريبا ، ذات وجه بيضاوى شاحب اللون تتقدم نحو مبنى المدرسة ، وكانت ترتدى ساريا من قماش خشن رخيص ، ولاحظت الفتيات أنها كانت تسير حافية القدمين وان السـذاجة ترتسم على محياها ! .. أجل .. كانت هى « أنديرا نهرو » بعينها ، وقـد جاءت لتلتحق بالفصل الأول من معهد « شانتينيكيتان » . وكان ابوها قد طلب من « رابندرانات تاجور » ان تعامل فى المعهد كأية فتاة من عامة الشعب والا تمنح أية امتيازات خاصة !

وكان التحاقها بالمعهد بداية فترة قصيرة - وان كانت ذات قيمة كبيرة - من حياتها . اذ عاشت لأول مرة مع فتيات من سنها ، معظمهن من الطبقة المتوسطة ، بعيدا عن الدوامات الاجتماعية والسياسية . وقد اتاح لها معهـد « شانتينيكيتان » جو الهدوء والسكينة الذى يكفل تحقيق التطور الثقـافى والفنى فى شخصية الطالبات . كما ان « تاجور » - مؤسس المعهد ومديره - كان شاعرا ومؤلفا مسرحيا وموسيقيا وفنانا ومصلحا اجتماعيا ، ومن ثـم كانت شخصيته الفـريدة تترك أثرا لا يمحى فى نفـوس كل من يلتحق

بالمعهد . وقد قالت انديرا عنه : « لقد كان عالم الأدب - بفضل أبى - مألوفا لدى من قبل . ولكن تاجور هو أول من كشف لى عن عالم الفن الساحر ! »

وكان تاجور قد وضع نظاما صارما تلتزم به طالبات المعهد . فكان عليهن أن يؤدين بأنفسهن كل الاعمال المنزلية المطلوبة ، كالكنس والمسح وطهو الطعام وتقديم الوجبات . ولابد أن هذا البرنامج اليومى العنيف أعاد الى ذاكرة « انديرا » الأيام التى قضتها فى صومعة « غاندى » .. كانت كل فتاة تستيقظ فى الرابعة والنصف صباحا ، فترتب فراشها ، وتنظف غرفتها ، وتستحم بالماء البارد - حتى فى فصل الشتاء - ثم تتناول افطارها بسرعة ، لتكون فى فصلها الدراسى فى تمام الساعة السادسة !

ولقد تعمد « تاجور » أن تكون الحياة فى المعهد قاسية ، لكى تعتاد الطالبات - حتى بنات العائلات الثرية منهن - الحياة الخشنة التى يحياها عامة الشعب . وكان المعهد محروما من التيار الكهربائى ، ومن ثم فقد كن يضطررن الى القراءة على ضوء مصابيح الزيت . وبطبيعة الحال ، لم تكن هنالك مراوح كهربائية ، فى أشد أيام الصيف حرا .. ومع ذلك فلم تبدر من انديرا كلمة تذمر واحدة توحى بأنها كانت تفتقد وسائل الراحة والترف المتوفرة فى بيت أبيها !

وكانت « انديرا » تعمل فى المطبخ كغيرها ، وتقدم الطعام لزميلاتها ، وترفض أن تضع فى فمها لقمة واحدة قبل أن تطمئن الى أن الجميع قد نلن كفايتهن . وكانت - بعد ذلك - تغسل الأطباق وأوانى المطبخ ، وتمسح البلاط .. فاذا آن لها أخيرا أن تسلم جنبها الى فراشها ، حانت لها الفرصة كى تترك العنان لأفكارها تنطلق بها الى الهند ، والى السجن الذى يضم اباها بين جدرانه ، والى المصحة التى كانت أمها تصارع فيها المرض الخبيث صراع الابطال .

وتصف احدى معلمات المعهد - وتدعى «مسز أسوكا بينها» - انديرا بأنها كانت خجولة ، رزينة ، تفيض حيوية . وكانت شهيتها للعلم عارمة لاتشبع ، فهى لم تقنع بدروس المعهد المألوفة ، بل أقبلت كذلك على تلقى دروس فى التصوير ، والغناء ، والرقص .. وكانت تقضى وقتا طويلا فى « كالا بهاوان»



صورة للفتاة أنديرا غاندي في شبابها الباكر قبل الزواج

او « قاعة الفن» فى المعهد • وبرغم انها كانت تلتزم الرزانة والجد فى ساعات الدراسة ، الا انها كانت تتغلب ـ فى اوقات الفراغ ـ على خجلها الفطرى وتشارك لداتها مرحهن ولهوهن •

وتذكر « مسز اسوكا » حادثا يوضح الجانب الجاد فى شخصية «انديرا نهرو » : ففى ذات يوم ، فقدت احدى الطـالبات بعض مجوهراتها ، فأمرت المشرفة بتفتيش صناديق ملابس الطالبات جميعا ، عدا صندوق « أنديرا » ، الا ان هذه ثارت على هذا الاستثناء واصرت على تفتيش صندوقها ، قائلة ان كونها ابنة «نهرو » لا يعطيها اى امتياز خاص على باقى الطالبات • وعلى اية حال انتهى الموضوع بسلام ـ بين ضحكات الطالبات ـ حين عثر على المجوهرات فى الحمام ، وقد نسيتها الطالبة فى الصباح ••

اما الجانب المرح فى شخصيتها ، فتقول عنه مسز اسوكا : « لقد كانت انديرا تفضل رقصة (مانيبور) على باقى ميادين النشاط الاضافيـــة فى المعهد • وفى عيد الربيع ـ من عام ١٩٣٥ ـ قدمت انديرا رقصتين حازتا اعجاب جميع الحاضرين ، وكانت بينهم عمتهــا فيجايا لاكشمى بانديت »• وتعترف « انديرا » بانها كانت جديرة بأن تصبح راقصة مبدعة ، لولا خجلها•• وقد كان تاجور يعتزم ضمها الى فريق راقص يقدم عروضه فى كل انحـاء الهند ، لجمع التبرعات من اجل معهده « شانتينيكيتان » ، لو لم تضطـر « انديرا » الى ان تخف الى جوار فراش امها فى مصحة للامراض الصدرية فى المانيا •

اللقاء الثانى •• مع لغز الحياة والموت !

* وفى مايو عام ١٩٣٥ رافقت « انديرا » امها الى المانيا ، حيث اودعت « كمالا » مصحة (بادن فيلر) للأمراض الصدرية • ولكن الدرن الرئوى كان قد وصل الى مرحلته الثالثة والأخيرة ، فاضطرت « انديرا » ـ مغلوبة على امرها ـ ان تشاهد المرض يفتك بأمها يوما بعد آخر • ولم يكن هنـاك من يخفف من اساها سوى صديق طفولتها في الهند « فيروز غاندي » ، الذي

قطع دراسته فى مدرسة الاقتصاد بلندن ، واستقل القطار فى رحلة طويلة ، ليسهر على رعاية عمته « كمالا » التى كانت مشغوفة به منذ أن كان يزورهم وهو طفل فى « اناند بهلوان » ، وكذلك كان الفتى - وهو المتحمس للقضية الوطنية - مرتبطا ارتباطا عاطفيا وثيقا بأسرة « نهرو » ،حتى لقد كان يشعر بأنه اذ يخدم زوجة « جواهر لال نهرو » المريضة فى المانيا ، انما يخدم كذلك قضيةالحرية ، فهو بذلك يساهم فى تفرغ نهرو لشؤون الوطن ٠ولكنه - الى جانب ذلك - كان يقر بينه وبين نفسه ، بأنه انما يرحب بأية فرصة لخدمة الفتاة ذات الوجه الشاحب الجميل : « أنديرا نهرو » !

وبرغم كل المجهودات التى بذلها الاطباء و « فيروز » ، فان صحة « كمالا » استمرت فى التدهور ، مما اضطر « انديرا » الى الابراق لأبيها فى سجن (دهرادون) بخطورة حال أمها ٠ وازاء هذا ، رأت السلطات اعفاءه من المدة الباقية من سجنه ، حتى يتسنى له السفر الى المانيا لرعاية زوجته ٠ فاستقل « نهرو » اول طائرة ، والهواجس تتنازعه بشأن حالة زوجته الصحية ، بينما يستبد به القلق من اجل ابنته التى كانت تعيش فى بلد غريب لترعى أمها ٠

وما أن شاهدت « كمالا » زوجها يقف الى جوار فراشها ، حتى عادت الدماء الى وجنتيها ، وافتر ثغرها عن ابتسامة سعيدة ، أما « انديرا » - التى قضت شهورا طويلة نهبا للقلق والحزن - فقد زال عنها توتر أعصابها ، وارتمت على أبيها تحتضنه وتقبله ٠٠ ها قد التأم شمل الاسرة من جديد : الأب والأم والابنة ٠٠٠ بينما وقف فى المؤخرة الشاب المخلص الامين « فيروز » ٠

وأمر « نهرو » بنقل المريضة الغالية الى مصحة أخرى فى (لوزان) بسويسرا ٠وخيل اليهم فى بادىء الأمر ان زحف المرض قد توقف ٠٠ ولكن الدماء التى صبغت وجه « كمالا » كانت - فى حقيقة الامر - النذير بالنهاية ٠٠ فلم تلبث أن ودعت الحياة فى شهر فبراير عام ١٩٣٦ ٠

وللمرة الثانية ، وقفت انديرا نهرو - بلا حول ولا قوة - أمـــام ظاهرة الموت .. فتعلقت بأبيها ، وقد استولى عليها الأسى واحتقنت عيناها من فرط البكاء ، وكأنه طوق النجاة الوحيد الذى بقى لها .

عام فى لندن ، قبل الالتحاق بجامعة اكسفورد

* كانت أوربا - طوال عامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ - بوتقة تنصهر فيهـــا الآراء والمبادىء والايديولوجيات المختلفة . وكانت بريطانيـــا مركز تلك الدوامة . فكان الطلبة الهنود - فى لندن واكسفورد وكمبريدج - يجتازون فترة « غليان ثقافى » ، ترك أثرا باقيا فى تفكيرهم ومشاعرهم . وكانوا قد تأثروا من قبل بالحركة الوطنية الهندية - بقيادة الزعيمين المهاتما غـــاندى وجواهر لال نهرو - فاذا بنفوسهم تنفر من موجة العنف والكراهيـــة التى اطلقتها النازية والفاشية من عقالها .. بينما كان زملاؤهم فى الهنـــد يحشدون الجهود لمقـــاومة الروح الاستعمارية ، والكفاح ضـــد كافة أنواع الطغيان والقهر والاستغلال .

وكان « فيروز غاندى » - الطالب بمدرسة الاقتصاد بلندن - من الذين تأثروا بهذه الظروف ، فكان من أوائل المتفقين فى الرأى مع « نهرو » علـى ان الحركة الوطنية فى الهند لا تنفصل عن مقاومة الفاشـــية ، فلم يكتف بالاشتراك فى (رابطة الهند) التى أسسها « كريشنا مينون » فى لندن والتى تولت نقل معركة الحرية الى قلب معسكر العدو .. بل اشترك كذلك فى عدد كبير من التنظيمات والمظاهرات والحملات ضد الحـــكومة الفاشية فى اسبانيا .

وفى تلك الاثناء ، كانت « انديرا نهرو » تستعد لامتحان القبول فى جامعة (اكسفورد) ، وتعيش فى غرفة متواضعة على سطح احدى عمارات طريق « فيرماكس » مع صديقة لها تدعى « شـانتا غاندى » .. وكانت تلك مرحلة من الحياة جديدة تماما على « انديرا » ، اذ وجدت نفسها فجأة محرومة من جو الامان والحماية الذى كانت تتمتع به فى بيت الاسرة (أناند بهاوان)

أو معهد (شانتنيكيتان) . وبات عليها - كطالبة مغتربة - أن تعيش مستقلة الشخصية ، على المصروف الشهرى المحدود الذى كان « نهرو » يرسله اليها من حقوق نشر كتبه .. اذ ان جدها كان قد انفق كل ثروته على القضية الوطنية ، ولم يكن ابوها يكتسب الا ما يكاد يقيم اود اسرته ، مما ضاعف من شعور « انديرا » بالعرفان نحوه لكونه قد مكنها من الدراسة الجامعية فى انجلترا .. وبالتالى اتاح لها الفرصة للاشتراك فى المناقشات الثقافيـــة ، ومشاهدة الاحداث السياسية التى كانت تدور فى تلك الايام ، عن كثب .

وفى خلال السنة التى قضتها « انديرا » فى لندن ، ساهمت وصديقتها « شانتا » بمجهوداتهما فى كثير من الحفلات التى نظمتها لجنة مساعدة اسبانيا ، فكانت « شانتا » تقدم الرقصات الهندية ، فى حين تقوم « انديرا » بالقاء الخطب الحماسية وبيع بطاقات الدخول . وفى احـــدى تلك الحفلات عرضت « انديرا » سوارها فى المزاد ، فبيع بخمسة جنيهات تبرعت بها لصـــندوق اللجنة . كما ساهمت الفتاتان بمجهود كبير فى « رابطة الهند » و « لجنة مساعدة الصين » .. فقد كانتا تؤمنان بأن الكفاح الوطنى من اجل الحرية ، والحركة العالمية لمقاومة الفاشية ، شطران من قضية واحدة . وكان هـــذا المفهوم هو هدية « جواهر لال نهرو » لابنته ، والشباب الهند ..

وما كان تحمس الفتاتين الهنديتين لقضية وطنهما ، ولمقاومة الفاشية ، والدراسة .. ما كانت هذه الجهود كلها لتصرفهما عن أن تنشدا شيئاً من التسرية .. وكان خير ألوان التسرية ان تشـــــاهدا حفلات الاوبـــــرا و « الباليه » والتمثيل ، من « أعلى المسرح » ، فان مواردهما المحدودة لم تكن تتيح لهما الجلوس فى « الصالة » ! .. وذات يوم ، كاشفت أنديرا صديقتها ، وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل ، برغبتها فى تعريفها بـ « صديق » يريد أن يصحبهما الى المسرح . وما زالت « شانتا » تذكر الى اليـــوم نظرة الوله والانفعال التى بدت فى عينى أنديرا عندما قدمتها في ذلـــك المساء الى .. فيروز غاندي !

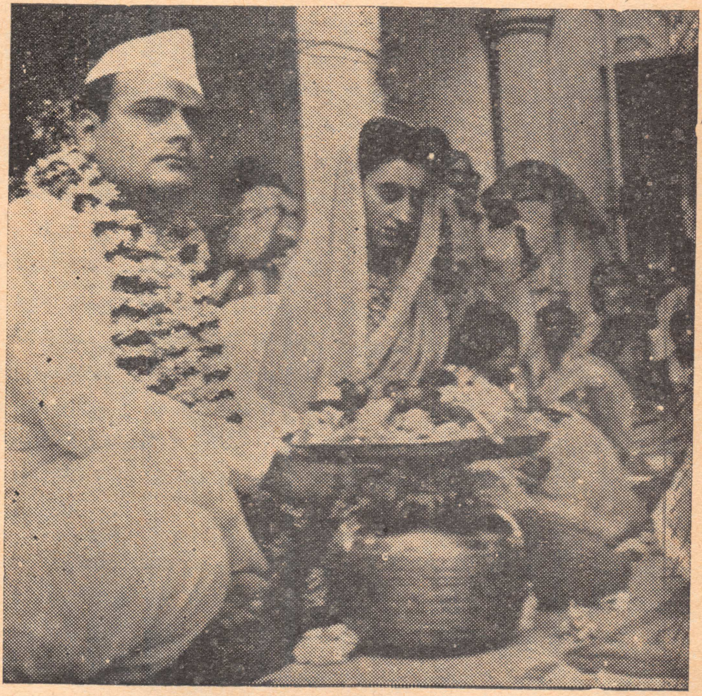
.. ثم أخذت العلاقات تتوثق بينهما ، حتى قادتهما الى عقد خطبتهما تمهيدا للزواج ..

شائعات وعقبات .. فى طريق الزواج

* كانت « أنديرا » - فى عام ١٩٤١ - فى قمة الفتيات اللواتى كان راغبو الزواج من الهنود يهفون اليهن .. لقد كانت تجمع بين الجمال والحسب، وقد أحاطت باسمها هالة من الكفاح الوطنى .. لذلك كان من المستحيل أن يمر موضوع زواجها دون أن يثير ضجة من التعليقات . فما أن أذيعت خطبة « أنديرا » الى فيروز غاندى » ، حتى سرت شائعة بأن «نهرو » لم يرض عن هذا الاختيار .. اذ أن « فيروز » لم يكن هندوكيا مثلهما ، وانما كان من « البارسيين . و « البارسيون » هم البقية الباقية من « المجوس » - أو عبدة النار - الذين كانوا ذوى مكانة منيعة فى فارس (ايـران) ، حتى غزاها العرب فى القرن السابع الميلادى ، فنزحوا الى الهند ، وظلوا حوالى ثلاثة عشر قرنا متشبثين بعقيدتهم ، وبفرديتهم من الطـوائف الهندية ، وباستقلالهم فى العادات والتقاليد ، وبممارستهم لونا من الحياة أقرب الى حياة الغربيين منه الى حياة الشرقيين .. وقد عرفوا بايمانهم المطلق بالخير ، ممثلا فى الكلمة ، والفكر ، والعمل .. وألهمتهم روحهم الفردية ونزعتهم الاستقلالية أن يكونوا فى طليعة الجهاد الوطنى فى الهند ، أيام الاستعمار البريطانى .

وكانت شائعة عدم رضاء « نهرو » عن اختيار ابنته للشاب «البارسى» شريكا لحياتها ، لا تقوم فى الواقع على أى أساس ، فلم يكن من المعقـول أن يعترض « نهرو » حق ابنته فى اختيار شريكها ، وهو الذى كان يعرف للبارسيين كل تلك الصفات ، بل وهو الذى كان يعرف « فيروز غاندى » معرفة وثيقة ، ويعجب بنشاطه .. ثم ، وهو الرجل الثائر الذى شاطر « المهاتما غاندى » ثورته على التقاليد الطائفية التى كانت تشيع الفرقة فى الشعب الهندى .. واذا كان « نهرو » قد أبدى رأيا ، فكل ما فعله انه

تحفظ فى بادىء الامر ، واخذ يبين لابنته ما كان ثمة من اختلاف بينهما وبين « فيروز » فى البيئة والعادات ، حتى اذا لمس منها اصرارا ، بادر الى الموافقة ، واشترك بنفسه فى المراسم اللازمة .. وقاد بنفسه « ابنته » - فى



« أنديرا » مع عريسها « فيروز غاندى » ليلة زفافهما
فى عام ١٩٤٢

حفلة الزفاف - الى المنصة التى كان « العريس » يعتليها ، فأجلسها الى جواره ٠٠ ثم جلس امامهما ، وبجانبه مقعد شاغر ٠٠ مقعد زوجته الغائبة !

وكان زواج « انديرا » و « فيروز » زواج عقل ، فضلا عن كونه ارتباطا بين قلبين عاشقين ، لانهما كانا يشتركان فى عدة اهتمـامات وميـول متشابهة ٠٠ كانا يحبان الكتب الجيدة ، ويستمتعان بالموسيقى العذبة ، ويكرسان حياتيهما للقضية الوطنية ٠٠ ويحبان « جواهر لال نهرو » الذى كان والدا لانديرا ، بينما كان بالنسبة لفيروز : المعبود والقائد !

وفى صباح اليوم التالى ، انطلق العروسان الى (كشمير) لقضاء شهر العسل ، فوجدا زهور الربيع تستقبلهما وترحب بهما متفتحة الاكمام ٠ غير ان تعيين « فيروز » مديرا لصحيفة « الناشيونال هيرالد » الهندية - التى كانت تصدر باللغة الانجليزية - ارغمهما على اختصار شهر العسل ، والعودة سريعا الى السهول ، حيث شيدا منزلا فى مدينة (لاكنو) ٠ وهناك انغمس الزوج فى عمله ، بينما خصصت « انديرا » الكثير من نشاطها لتنظيم الجناح النسوى من حزب المؤتمر ، وللمساهمة فى تنظيمات اجتماعية وخيرية ، كما اشرفت على شؤون منزلها كأية ربة بيت بارعة !

عندما وطأ جنود الشرطة جسدها بالنعال !

* فى ٨ اغسطس سنة ١٩٤٢ ، اصدر المؤتمر العام الذى عقده «حزب المؤتمر » فى (بومباى) قرارا بدعوة الهنود عامة الى الجهاد لاجلاء الانجليز عن بلادهم ٠٠ وكان هذا القرار انتصارا للعناصر الشـابة المتحمسة فى الحزب ، التى كانت تنادى بانتزاع الحرية من غاصبيها بالقوة ٠٠ ولـكن السلطات البريطانية كانت اسرع من الحزب عملا ، فقبل ان يتمكن اعضاء المؤتمر من العودة الى اقاليمهم ، صدرت الاوامر بالقاء القبض على زعمـاء الحزب جميعا !

وكانت « انديرا » مع ابيها ، حين اقبل الشرطة لاعتقاله فى السـاعة الرابعة صباحا ٠ وعند وصولها فى الصباح التالى الى (الله اباد) ، فوجئت

بعمتها أيضا تغادر البيت الكبير فى حراسة الشرطة الى السجن!٠٠٠ ولكم شهدت من قبل حوادث اعتقال أبيها وأهلها ، ولكنها كانت طفلة فى تلك المرات ، أما الآن ٠٠ فقد أصبحت امرأة قادرة ومسئولة عن المضى فى الجهاد الوطنى ، ولو قادها بدورها الى السجن !

ولم يكن يقلقها سوى « فيروز » ٠٠ فهو ـ كغيره من شباب الحزب ـ لم يكن يؤمن بالاستسلام للاعتقال دون مقاومة ٠٠ وكان الامر قد صـدر باعتقاله ، ولكنه اختفى عن الانظار ، واضطر الشرطة الى أن يحيطوا بداره طيلة ساعات النهار والليل !

وكان أول صدام بين « انديرا » وجند الاستعمار بعد أيام ، اذ قرر طلبة كلية «ايونج » المسيحية أن يرفعوا العلم الوطنى الثلاثى الالوان فى فناء كليتهم ، ودعوا أنديرا لتنوب عن أبيها فى هذه المناسـبة ٠٠ واذا الشرطة يهاجمون الطلبة بغلظة وحشية ، أثارت الدماء فى عروق «أنديرا» ٠٠ وأبصرت الفتى الذى كان يحمل العلم يفلته من يديه وقد انهالت عليـه الضربات الغاشمة ، فأسرعت تلتقط العلم قبل أن تطأه أقدام المعتدين !

وألهب منظر ابنة « جواهرلال نهرو » ـ وهى ترفع العلم الوطنى ـ مشاعر الطلبة ، والتفوا حولها ، وأخذوا يطلقون الهتافات المدوية بحيـاة الهند وسقوط المستعمر ٠ وفجأة دوت فرقعة سوط فى الهواء ، وأحست «انديرا » بألم فظيع يسرى فى ظهرها ٠٠ ولكنها أبت أن تفلت العلم ٠٠ وتذكرت أن أباها ضرب هكذا مرة ، بل لقد داست أرجل جياد الشرطة جسده ٠٠ وعاد السوط يهوى نحوها ، فرفعت العلم ، واذا طرف السـوط يصيب ذراعها ، فكاد العلم يسقط من يدها ٠ ولكنها صرت على أسنانها ، وراحت تتذكر كيف أن جدتها الهزيلة ، والرقيقة البنيان ، تعرضت لمثل هذا مرة ، فظلت صامدة للضربات حتى سقطت مغشيا عليها ، تنزف دما ، فقالت الفتاة لنفسها : « اننى سليلة نهرو ، فلا ينبغى أن أصرخ أو أترك العلم ! »

وفجأة دفعتها يد غليظة ، فهوت على ظهرها ٠٠ وشاهدت فى وقوعها حذاء ضخما تملأ المسامير الغليظة نعله ـ حذاء أحد رجال الشرطة ـ وهـو يقترب ، ثم يطأ متعمدا جسدها الرقيق !٠٠

فى ذلك اليوم عادت آنديرا الى البيت مثخنة بالجراح ، وقد تمزقت ثيابها .. لكن احساسها بالزهو والفخار كان يفوق احساسها بالالم .. فقد اجتازت أخيرا المحنة التى مر بها - من قبل - ابوها ، وامها ، وجدتها وعمتها .. كما كان من دواعى ارتياحها أن الحفل حالفه النجاح فحقق غايته المنشودة ، وتمكن الطلبة من رفع العلم !

تخطب فى الجماهير تحت فوهات بنادق الانجليز !

* وان هى الا أيام ، حتى قررت « آنديرا » عقد اجتماع علني ،تذيع فيه على أعضاء حزب المؤتمر الطلقاء ما تلقته من أبيها وغيره من قادة الحزب المسجونين . وتقاطر الناس من كل صوب وحدب لسماع كلمات « آنديرا » وهى تسبق الجميع الى تحدى قرار الحكومة بحظر الاجتماعات العلنية .ولكنها لم تكد تشرع فى الكلام ، حتى حاصرت قوات مسلحة من الجيش البريطانى مكان الاجتماع .. وكانت احدى البنادق على بعد ثلاث بوصات منها ،ولكنها واصلت حديثها ، واحدى عينيها متجهة الى فوهة البندقية ، مبشرة المجاهدين من أجل الحرية بالنصر .

واخذت تتحدث ببلاغة فياضة - وهى التى عرفت بالحياء والخجل - لمدة خمس دقائق ، واذا بجندى بريطانى يصيح فيها بصوت أشبه بنباح الكلاب : « كفى عن الحديث والا أطلقت النار » . ولم يكد يفرغ من تهديده حتى برز شخص من بين الجموع ، واندفع فى سرعة البرق نحو الجندى حامل البندقية .. وكان ذلك الشخص هو « فيروز » ، الذى خرج من مخبئه بمجرد سماعه بأن الجيش أرسل قوة لتفريق اجتماع آنديرا !

والواقع ان ما حدث كان أشبه بالروايات « الميلودرامية » .. فقد شاهدت الجماهير - فى ذلك اليوم - الزوجين اللذين فرقت بينهما مقتضيات الكفاح ، يقفان جنبا الى جنب ، وقد احتدم الغضب فى صدريهما متحديين بنادق الجنود وسياط رجال الشرطة !.. وقبض احد الجنود على ذراع «انديرا » محاولا ان يجرها الى سيارة السجن ، فهجمت الجماهير على الجنود محاولة

انقاذها . وأصيب جسد « انديرا » بكثير من الرضوض ، وتمزقت ثيابها ، وتشعث شعرها ، فى خضم الهرج الذى وقع .. وفجأة ، وجدت نفسها داخل السيارة ، مع أكثر من مائة شخص آخرين ، بينهم « فيروز » .. وبعد أيام اقتيد الاثنان الى سجن (نيانى) حيث أودع « فيروز » عنبر الرجال ، واودعت « انديرا » عنبر النساء .

وبالرغم من الجدار العالى الذى كان يفصل القسمين ، فان الزوجين لم يشعرا بالارتباط يوما كما شعرا به فى تلك الايام .. وهما يحتفلان بشهر عسل « روحى » وراء قضبان السجن !

ومع ان ((انديرا)) لم تسجل انطباعاتها كتابة عن فترة سجنها فان مذكرات عمتها تبين بجلاء ان العروس السجينة كانت - برغم المرض والاعياء - تحتمل متاعب السجن ببهجة وانشراح ، مستعينة على ذلك بخيالها الخصب وروح الفكاهة لديها .وقد تحدثت يوما عن تلك الفترة الى مراسل صحفى ، فقالت :

((كنت قد صممت على الذهاب الى السجن ، ومن ثمة غمرتنى السعادة عندما اعتقلونى ! .. وكنت قد وطنت نفسى على كتمان احاسيسى داخل نفسى ، حتى لا أشعر بافتقاد أى شيء .. ولم أفطن - الا بعد أن غادرت السجن - الى اننى قطعت فيه الصلة بينى وبين مشاعرى وعقلى الواعى ، واننى كنت أعيش على سطح الحياة ! »

وقضت « انديرا » المدة التى حكمت عليها بها « عدالة ! » الاستعمار ، وسط أحقر أنواع المجرمات والنشالات والقاتلات - فقد كانت سلطات السجن تعتبرها من الخطرات ! - محرومة من أدنى وسائل الراحة ..ولكن ذلك لم يفت فى عضدها ، بل كرست عدة ساعات من كل يوم لتثقيف زميلاتها السجينات ومحاولة بث روح الوطنية فيهن .

وبعد تسعة اشهر اطلق سراحها .. ومرة اخرى ، عادت لتعيش بمفردها فى (اناند بهاوان) ، فقد كان ابوها نزيل سجن (احمد ناجار)،

وزوجها وعمتها فى سجن (نيانى) ... ولكنها لم تشعر بالوحدة في هذه المرة ، بعد ان وفت بنذرها وادت فريضة ((الحج الى السجن)) !

انفصال باكستان ، وموجة العنف التى أعقبته ..

* يعتبر يوم ١٥ اغسطس عام ١٩٤٧ من ايام الهند الخالدة ، فهو اليوم الذى وقف فيه ((نهرو)) ليخاطب اول برلمان اختاره الشعب بعد اعلان استقلال الهند .. ولكن الفرحة التي عمت الجماهير في ذلك اليوم لم تستمر طويلا لسوء الحظ .. لان الحرية لم تأت وحدها ،وانماأتت معها بالانفصال الذى أطلق - فى الهند وفى الدولة الوليدة (باكستان) - موجة من العنف والكراهية لم يسبق لهما مثيل !

وكان وصول افواج اللاجئين من غرب باكستان الى دلهى نذيرا بانتشار عدوى العنف فى أنحاء العاصمة ، فلم يعد المسلمون - الذين كانوا جزءا بارزا من اهل (دلهى) منذ مئات الاعوام - يأمنون على ارواحهم واموالهم ومساكنهم . وعندما زادت غارات السلب والنهب على الاقلية المسلمة ، لم يعد هناك مفر من عمل حازم سريع لاعادة السلام ، فتطوع الرجال والنساء من ذوى البصيرة والايمان - وجندوا غيرهم - لمواجهة حملة الكراهية والعنف ومقاومتها .

وكان ((المهاتما غاندى)) يحاول اقناع الهنود والباكستانيين بالتعقل والتزام القواعد الانسانية ، عن طريق اقامة اجتماعات للصلاة ، كانت تذاع بصفة منتظمة من محطة اذاعة الهند المتحدة .. أما « نهرو » ، فلم يكتف بالصلاة ، وانما راح يجازف بحياته فى سبيل حماية الاقلية المسلمة وتوفير أستتباب الامن بين ابناء الوطن الواحد .. فكان يهرع الى الاحياء التى يحدث فيها الشغب - غير مبال بسلامته الشخصية - ويشرف على اجلاء المسلمين المحاصرين فى بيوتهم ، بحيث لا يلحقهم أذى .

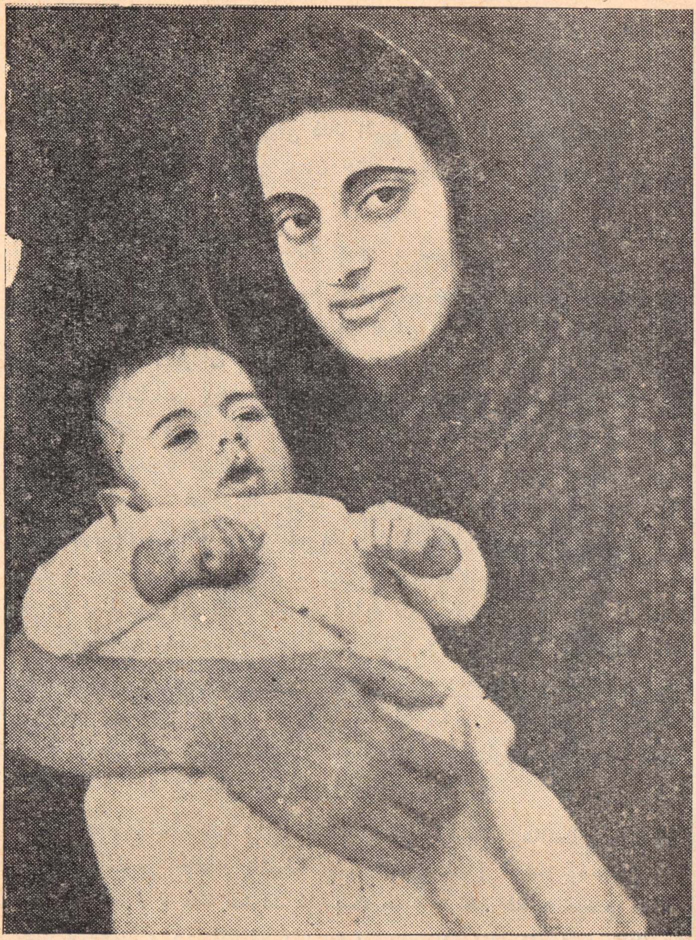
وكانت « أنديرا » - فى ذلك الوقت - تعيش مع زوجها وطفليها ، اللذين انجبتهما من ((فيروز)) ، فى بيت ابيها ..بينما انتقل نهرو -بعد ان اصبح أول رئيس وزراء للهند المستقلة - الى منزل متواضع ، يضم

ثلاث غرف ، افرد اثنتين منها للاجئين على تباين طوائفهم : فكان بينهم الهندوكيون ، والسيخ النازحون من غرب البنجاب ، والمسلمون الذين انتزعت منهم بيوتهم فى نيودلهى . وكان على « انديرا » أن تدبر الطعام لبيتها ولبيت أبيها بمن يضم من ضيوف ، فى وقت كان الحصول فيه على الطعام بكميات كافية ، من اعقد الامور .. حتى بالنسبة لرئيس الوزراء !

ولما استفحل الامر فى البلاد ، اعلن ((المهاتما غاندى)) انه قد قرر الصوم ، وانه لن يعدل عنه حتى تعود الأمور الى مجراها الطبيعى . وقد حاول الكثيرون اثناءه عن هذا القرار ، الا أن « انديرا » أيقنت انالوسيلة الوحيدة لانقاذ حياته ، هى الاشتراك الايجابى فى القضاء على الملوثة التى اصابت البلاد .. فتركت طفليها فى رعاية بعض معارفها ، وخرجت الى الميدان ترفع راية الجهاد .. وراحت تزور مستعمرات اللاجئين ، وتواسى المنكوبين ، وتستخدم ما لاسم ابيها من نفوذ للحصول لهم على ما يحتاجونه من زاد وملابس . وكانت كلما سمعت بتعرض حياة بعض المسلمين للخطر - فى اى جزء من أجزاء المدينة - هرعت الى هناك بمفردها لتنقذهم . وقد كانت سيطرتها على الجماهير الثائرة عجيبة ، نابعة من شجاعة صادقة ، فكان مجرد ظهورها فى وسطهم يحول الذئاب الضارية الى حملان وديعة !

واخيرا انحسرت موجة العنف ، وتسلم « المهاتما » اقرارات كتابية من زعماء مختلف الطوائف بأن اتباعهم سيجنحون الى السلم .. وعلى الفور عم السرور الدولة كلها ، لان محنة صوم ((قديسالشعب))قد انتهت .. وعندما قدم الزعيم المسلم ((مولانا ابو الكلام ازاد)) اول كوب من عصير البرتقال الى المهاتما غاندى ، التفتت انديرا الى ابيها ، فقرات على وجهه الاحساس بالرضى المشوب بالالام ، اذ كان لزاما ان تتعرض حياة اقدس زعيم للخطر ، حتى يتم القضاء على موجة التعصب المقيتة ..

وفى اليوم التالى ذهبت « انديرا » مع ابنتى عمها لزيارة « المهاتما غاندي » ، وسررن اذ وجدنه في حالة نفسية طيبة ، فقد استقبلهن بابتسامة



انديرا غاندي تحمل ابنها « سانجاى » في طفولته

عريضة ، ثم راح يداعبهن مداعبتا .. وتحول يسأل أنديرا عن زوجها ، وولديها الصغيرين ، وضيوفها المقيمين فى بيت « نهرو » . واجتاح «أنديرا» فيض من الحنان نحو ذلك الرجل النحيل ، الذى كان بمثابة أب ثان لها .. وما خطر لها - وهى تفارقه فى ذلك اليوم - انها لن تشاهد وجهه الحبيب مرة أخرى ، وانه لن ينقضى يومان حتى يسقط قتيلا .. بطلقات مسدس قاتل أثيم !

تترك بيتها الى بيت أبيها ، لترعى جهاده ..

عندما استقرت حياة ((نهرو)) فى نيودلهى - فى عام ١٩٤٧ - لم يكن ثمة اتفاق بينه وبين ابنته على ان تعيش معه ، بل كان المفهوم - فى بادىء الأمر على الأقل - أن اقامتها فى بيته مؤقتة ، بحكم ان تلك الفترة كانت مليئة بالمتاعب والتوتر بالنسبة لجواهر لال نهرو ، بحيث كان فى حاجة الى شخص من لحمه ودمه يقف بجواره ، بعد أن خلا بيته من الاهل، وان منعته كبرياؤه من ان يجاهر بذلك . على ان وجود ((انديرا)) فى البيت لم يلبث - بمرور الوقت - أن اصبح ضرورة لا غنى له عنها ،فقد كانت تقوم بالنسبة له بدور المضيفة التى تستقبل ضيوفه وتشرف على شؤون منزله ، وتحول - برفق - دون تسلل المتطفلين وأصحاب المطامع الى بيته .. فضلا عن دور الناقد الجرىء النزيه ، فقد كانت هى الشخص الوحيد الذى يجرؤ على معارضته عندما يتخذ قرارا لا ترضى عنه . وكان((نهرو)) يهتم بآرائها لأنه كان يثق فى رجاحة عقلها ، ويعرف أنها لا تصدر فى آرائها عن هوى شخصى .. فضلا عن أن ضيق صدر نهرو بالنفاق والتملق وعدم الكفاءة كان كثيرا ما يبرز فى صورة نوبات غضب لم يكن ثمة من يملك تهدئتها سوى « انديرا » .

وهكذا اضطرت ((انديرا)) الى التضحية باستقرارها العائلى مع زوجها وولديها ، لتكرس الاعوام الثمانية عشر الاخيرة لخدمة أبيها ومساعدته . وقد ظل « فيروز » عدة سنوات فى بيت حميه ، كان خلالها موضع عطف « نهرو » وحبه . بيد أنه لم يكن يشعر بالسعادة الحقة اذ راحت تتنازعه

عاطفتان : حبه لزوجته واحترامه وحبه لحميه الذى كان يعتبره استاذه السياسى ‎..‎ ثم تقديسه ــ فى الوقت نفسه ــ لكرامته ، الأمر الذى كان يشعره بالغضاضة ويجعله يقبل على مضض فكرة البقاء « عالة » فى بيت نهرو ‎.‎ ولذلك لم يكد يفوز بعضوية البرلمان حتى انتقل الى المسكن الرسمى الذى كفله له مركزه الجديد ، حيث راح يستقبل أصدقاءه وحلفاءه السياسيين ، وحيث اكتسب أيضا سمعة البرلمانى ذى الرأى الحر النزيه ، الذى لا يخشى أن يتحدث بصراحة مذهلة فى أى موضوع يهم الشعب ، ولو أدى ذلك الى كشف أوزار يرتكبها بعض أصحاب النفوذ فى الدولة ‎.‎

بيد أنه لم ينفصل عن زوجته وابنيه انفصالا تاما ، فكثيرا ما كان يلتقى بهم ،سواء فى مسكنه او فى بيت « نهرو » ‎.‎ وكان قد أودع طفليه مدرسة داخلية ، ولكنهما كانا يجدان أبويهما معا فى استقبالهما ، كلما عادا الى البيت الكبير فى عطلة مدرسية ‎.‎ والواقع أن حياة « أنديرا » و «فيروز» لم تكن حياة زوجية بمعنى الكلمة ، ولكنهما احتملا الموقف بكرامة، وتحت تأثير دوافع أبعد ما تكون عن الانانية !

وذات يوم ، تلقت ((انديرا)) برقية تحمل اليها نبأ الاجماع على انتخابها رئيسة لحزب المؤتمر الهندى ‎.‎ وكان ((نهرو)) ــ اذ ذاك ــ يقوم بجولة فى داخل البلاد لتفقد أحوال الشعب ، فلم يكن الى جانبها لتستشيره ‎..‎ ولكن لماذا تستشيره وهى تعرف جوابه مقدما ؟ ‎..‎ لقد اعتاد فى مثل هذه المواقف أن يقول لها : « لقد بلغت سنا تسمح لك بالبت فى امورك بنفسك !)) . ومن ثم جلست الى مكتبها ،وارسلت برقية بموافقتها ‎.‎

اللقاء الثالث ‎..‎ مع لغز الحياة والموت !

وراح فيروز وانديرا يستغرقان فى اعمالهما ، كل فى ميدانه الخاص: هو فى عمله فى البرلمان الذى برز فيه كخطيب مفوه يحارب الفساد بكافة اشكاله ، فى غير مجاملة ، ولو اضطر الى المساس بأحد كبار رجال الحزب ‎.‎ وهى كرئيسة لحزب المؤتمر ، ثم كامرأة لم تتوقف عن أداء دور الابنة ، والرفيقة ، وحافظة الاسرار لأبيها رئيس الوزراء ‎.‎ كان الزوجان ماضيين فى

واجباتهما هذه ، عندما أصيب « فيروز » بنوبة قلبية مباغتة ، ودون توقع ، بينما كان يبدو فى عنفوان صحته ، ولم يخطر ببال أحد أنه كان يعـانى خللا فى البطين الايسر ، ما لبث أن تطور الى أزمة قلبية خطيرة .

.. وهرعت « أنديرا » اليه بمجرد سماعها النبأ ، فقضت أياما وليالى طويلة ساهرة عليه ترعاه ، وتكاد تذوب قلقا وجزعا .. حتى اذا تأكدت من زوال الخطر ، صحبته وولديهما لقضاء فترة اسـتجمام فى (كشمير) . وهناك ساعد الطقس البديع ، وقوة ارادة فيروز ـ يعززها اجتماع شمـل الاسرة من جديد ـ على شفائه بسرعة عجيبة .. وكانت تلك الفترة بمثابة شهر عسل ثان للزوجين ، بعد أن باعدت بينهما السياسة أعواما ..

ولكن نداء الواجب ما لبث ان عاد بهما الى السهول مرة اخرى ، فارتدا الى حياتهما السابقة . وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ ، عاودت « فيروز » النوبة القلبية ، فخفت انديرا ملهوفة الى جواره ، وكفلت له افضل أنواع الرعاية الطبية ، وراحت ـ كأية زوجة مخلصة ـ تسهر على تمريضه بنفسها .. ولكن النوبة كانت شديدة ، فعجز قلبه المريض عن احتمالها .. ومات فيروز .. فغرقت « انديرا » فى الأسى العميق ، وظلت لعدة اسـابيع مذهولة عما حولها .. حتى اذا استجمعت عزيمتها ، انكبت على العمل تلتمس فيه العزاء والسلوى . وكانت قد انتخبت ـ فى تلك الاثناء ـ عضوا فى لجنة الانتخابات المركزية لحزب المؤتمر ـ التى كانت تتولى اختيار المرشحين لانتخابات البرلمان ـ وعضوا فى اللجنة البرلمانية للحزب . وقد عملت فى المجالين بكل جد واخلاص .. وعندما زار أبوها الولايات المتحدة ـ فى العام التالى ـ كانت برفقته فى الجولة التى استغرقت عشرة ايام ..

الاحداث التى عجلت بنهاية نهرو

* وجاء عام ١٩٦٢ بطائفة من الاحداث التى هزت « نهرو » و « انديرا » معا .. فقد اندلعت الاضطرابات الطائفية فى الهند من جديد ، بعد سنوات من السلام والهدوء .. وسبقت « انديرا » غيرها من اعضاء حزب المؤتمر

الى (جابالبور) ، لتواجه الجو المسمم الذى خلقه المتعصبون ،ولتدبير وسائل الحماية للأقلية المسلمة من هجمات المتهوسين ••

وحزن ((نهرو)) حزنا عميقا حين قرأ تقرير((انديرا)) عن هذه القلاقل، وراح يسائل نفسه متحسرا : اهذا هو مآل حلمه بتوحيد الهنود جميعا فى جبهة واحدة ؟ •• ولم يكن يدرى أن القدر قد أعد له صدمة اخرى اقسى وأفظع •• فان الصين الشعبية ، التى كانت له جولات وصولات فى سبيل حمل المحافل الدولية على الاعتراف بها ، وعلى اقرار حقها فى احتلال مقعدها الشرعى فى الامم المتحدة ، معرضا نفسه ـ فى ذلك ـ لحملات الجناح اليمينى فى حزب المؤتمر •• الصين الشعبية هذه ، كانت هى عين الدولة التى عبأت جيشها ـ فى ذلك العام ـ للاعتداء على الهند !•

وكان هـذان الحادثان بمثابة طعنتين فى الظهـر ، بالنسبة لنهرو ، السياسى الذى كان يؤمن بالمثالية •• فلم تنقض أيام حتى بدت عليه معالم الشيخوخة • وبالرغم من أنه مضى يستجمع ارادته الخارقة لمواجهة الموقف المتأزم،فأنه افقد تفاؤله الى الابد ، ولم تعد روحه المعنوية الى سالف عهدها!

وأشفقت « انديرا » على صحة أبيها •• ولكنـــه دعاها الى الا تشغل به ، كى تركز كل جهودها لتعبئة الشعب لمواجهة العدوان •• فلم تلبث أن رحلت الى ميدان القتال ، لتشرف على تزويد المحاربين بالمهمات والخدمات •• واخذت تعمل دون توقف على رفع الروح المعنوية للشعب •• الى أن انحسرت موجة العدوان باتفاقية وقف اطلاق النار ، وبدات الأحوال تهدأ • بيد أن جراح « نهرو » النفسية والروحية لم تندمل بعد ذلك • وما لبثت بوادر التداعى ان بدات تظهر عليه ••

وكانت البادرة الأولى فى مطلع عام ١٩٦٤ ، حين أصيب ((نهـــرو » بنوبة قلبية حادة ، أثناء حضوره اجتماع الحزب فى (بهوبانيسوار) ••• فعكفت « آنديرا » على العناية به أربعة أشهر طوال ، راحت تحاول فيها اقناعه بان يطيع تعليمات الاطباء ، ولكنهـــا كانت تضطر دائما الى اجابة الحاحه ، وتزويده بتطورات الموقف أولا بأول •• وما أن حان شهر مايو ،

حتى بدت عليه أعراض التحسن ، وخيل للجميع أنه تجاوز مرحلة الخطر ، فلم ير الاطباء ولا « انديرا » مانعا من السماح له بدراسة التقارير الرسمية .

وفى مساء السادس والعشرين من شهر مايو ، فرغ ((نهـرو)) من دراسة كل ما كان قد رفع اليه من أوراق ، وبت فيها بقرارات ، ثم طوى الملفات وهو يقول: ((اعتقـــد اننى فرغت من كل شىء ! » .. وأوى الى فراشه . ولكن لم يشرق فجر اليوم التالى ، حتى عاودته النوبة القلبية على غير توقع .. وفى هذه المرة لم يقو على مغالبتها ، فأسلم الروح و «أنديرا» الى جواره .. وانهار كل جلد « انديرا » ، فظلت ساعات طويلة جامدة بجانب الفراش ، لا يبرح بصرها الوجه الحبيب الذى كان شحوب الموت يسرى فى قسماته ..

القافلة تسير .. بعد رحيل الزعيم

* ولكن .. ما طلعت شمس أول يوم تقضيه الهند و « انديرا » بغير « جواهر لال نهرو » ، حتى انتبهت « انديرا » الى مسئولياتها ، فهبطت لتشرف على اعداد الفطور لجميع من كانوا فى « البيت الكبير » ، وان أبت ان تأكل شيئا ،برغم انها لم تتبلغ بلقمة واحدة طيلة اليوم السابق .. ثم طلبت الى الجميع أن يغتسلوا ويرتدوا أزهى ثيابهم ، لان « بابو » لايحب أن يسيروا معه فى رحلته الاخيرة بحالة زرية !

وفجأة ، احست « انديرا » بأن الحمل الذى كان يثقل كاهليها قـد ازداد وتضاعف .. فقد بات عليها أن تواصل المسير وحدها ، بعد انافترق عنها رفيقا الجهاد .. الاب والزوج !

ولا يتطلع شعب الهند اليوم الى « انديرا غاندى » كرئيسة للوزراء فحسب ، بل انه اختارها قائدته السياسية وزعيمته الروحية ، التى يستمد منها آراءه وامانيه ، بعد ان حرم من زعيميه العظيمين ((المهاتماغاندى)) و « جواهر لال نهرو » .. وقد يكون هناك من يوجسون من قدرتها على القيام بهذا الدور ، ولكن هؤلاء يتجاهلون ان الشعب هو الذى يصـــنع

الزعيم ويلهمه ، فى نفس الوقت الذى يتعلم فيه من الزعيم ويستلهمه .. وما من شك فى أن شخصية « انديرا غاندى » السياسية ستتطور وتنمو - كقوة تقدمية - مع تطور الهند ونموها .. فقد ارتبطت حياة « انديرا » بحياة الهند ارتباطا وثيقا ، وستظل اعواما طويلة تفرض نفوذها على سياسة الهند ، لا لأنها ابنة « جواهر لال نهرو » فحسب ، وانما لأنها تتحدث بلغة الشعب ؛ وتستمد منه نظرتها الى الامور ..

واذا كان معارضو « نهرو » - الذين استنكروا أيديولوجيته التقدمية - قد أبوا عليه مرارا رغبته فى التنحى عن الحكم ، ادراكا منهم بأن تحرره من مسئولية الحكم سيوفر له الوقت والقوة لتوجيه الضربات للرجعية والطائفية والاستغلال .. فان انصار اليمين فى حزب المؤتمر يدركون أن « انديرا » لا تقل عن ابيها تحررا وتقدمية ، ومن ثم فشغلها بمقاليد الحكم غاية من غاياتهم .. اما الاكثرية المؤيدة لها ، فترى أنها قوة لا غنى عنها للحزب .. ونقطة تجمع لعناصره المجاهدة ، وهمزة وصل بينه وبين سياسة ابيها وشخصيته !

تعريف بمؤلف الكتاب

للمحـــــرر

* والآن ، بعد أن فرغنا من قراءة هذا الكتاب الممتع عن حياة « انديرا غاندى » ، العامة والخاصة ، تعال معى أقدم لك مؤلف الكتاب : « خواجا أحمد عباس » .

وخواجا أحمد عباس ليس كاتبا فحسب ، وانما هـــو « مجموعة » ضخمة عجيبة من المواهب المنوعه : فهـــو محقق صحفى .. وكاتب ســـياسى .. ومؤلف روايات طويلة ، وقصص قصيرة ، ومسرحيات .. ومؤلف ومنتج بل ومخرج سينمائى لعدد كبير من الافلام الكبـــرى والتجريبية التى فاز الكثير منها بجوائزعالمية . وهو معروف فى الوسط السينمائى

العالمى كشخصية هامة من العاملين فى حقل السينما فى الهند ٠٠ وقد فاز فيلمه قبل الأخير « شيهار أور سابنا » بالمدالية الذهبية لأحسن أفلام الهند فى عام ١٩٦٣ ، وبجائزة الأكاديمية فى مهرجان السينما العالمى فى (كارلو فيفارى) ،لعام ١٩٦٤ ٠

وقد بدأ « خواجا أحمد عباس » حياته العملية ، على أثر تخرجه من جامعة (اليجهار) ، كمساعد للناقد الفنى لصحيفة « الكرونيكل » الهندية التى تصدر فى بومباى ٠ وفى وقت فراغه كان يتولى اعداد الدعاية اللازمه لشركة «أفلام بومباى» ٠ وكان رئيسه فى الجريدة كثيرا ما يعهد اليه بكتابة نقد الافلام نيابة عنه ، فلما وافاه أجله ، خلفه « عباس » فى وظيفته ٠

لكن توليه هذا العمل لم يلبث أن جعله شخصية بغيضة يكرهها أكثر العاملين فى حقل السينما الهندية ، اذ كان شديد القسوة فى نقده ، برغم كافة الوسائل التى لجأ اليها المنتجون، من وعد ، أو وعيد ، كى يخفف من حدة هجومه عليهم ٠٠ فلما فشلوا فى « استمالته » ، اتفقوا فيما بينهم على حرمان الصحيفة التى يعمل بها من كافة الاعلانات ، عقابا لها على نزاهة ناقدها !٠٠ ولم يجد رئيس التحرير وسيلة يتخلص بها من هذا المأزق سوى ترقية « عباس » وتكليفه بالاشراف على عدد الاحد الاسبوعى من الصحيفة ، كى يزيحه من الطريق الشائك الذى يضر بمصلحة الصحيفة !

يعد سيناريو فيلم ، ليفضح خصومه !

٠٠ وكان رد الفعل المباشر الذى عمد اليه « عباس » ، كى يلقن خصومه من المنتجين درسا لا ينسوه ، (ويقدم اليهم فى الوقت نفسه نموذجا للفيلم الجيد ، من وجهة نظره) ، انه



كتب قصـــة وسيناريو لفيلم اطلق عليه « نايا سانسار » ، (أى « العالم الجـديد ») ، وتناول فيه شخصيه صحفى نزيه يطارده بعض كبار رجال الاعمال ليرغموه عـلى الكف عن مهاجمتهم وفضح وســـائلهم الحقيرة لاستغلال الفئات العاملة . وقد انتجت الفيلم شركه آفلام بومباى ، فلقى نجاحا كبيرا ، شجع « عباس » عــلى تكوين شركة سـينمائيه جديدة تحت اشرافه ، أنتجت عددا من الافلام الجيدة التى تولى هو كتابة قصصها واعداد السيناريو لها ، بل وتولى اخراج بعضها .

عباس .. المؤلف المسرحى

والى جانب كل هذا الانتاج السينمائى ، اتجه عباس الى المسرح ، فألف عدة مسرحيات ناجحة ، منها « عودة الوردة الحمراء » ، التى صور فيها شخصية «نهرو» ، وقد كان هو الذى ابتكر واستخدم عبارة «عودة الوردة الحمراء» للمناداة بانتخاب انديرا غاندى رئيسة للوزارة الهندية ، ومنذ ذلك التـــاريخ أصبح رمز الوردة الحمراء مرتبطا بابنة جواهر لال نهرو ..

.. والكاتب السياسى

على أن كل مظاهر النشاط التى انغمس فيها « خواجا أحمد عباس » ـ والتى أوجزناها فيما سبق ـ لم تشغله عن الميدان الرئيسي لعمله واهتمامه ، وهو متابعة أحداث العالم السياسية

الهامة وتغطيتها أولا بأول بالتحقيقات الصحفية والكتب التى يضمنها أحاديثه مع الشخصيات العالمية البارزة .. من ذلك أنه عندما فاجأ « خروشوف » العالم بالتغييرات الكبرى التى أحدثها فى السياسة السوفييتية ، سارع عباس بالسفر الى موسكو والحصول على اذن خاص بمقابلة الزعيم السوفييتى ، وكانت تلك المقابلة نواة للكتاب العميق الممتع الذى كتبه على اثر ذلك وجعل عنوانه « وجها لوجه مع خروشوف » .

وعندما بهرت العالم رحلة « جاجارين » ، رائد الفضـــاء الاول ، طار عباس الى موسكو ليعود منها بمادة كتاب جـديد بعنوان «حتى نصل الى النجوم» .. وهكذا طاف عباس بالعالم عدة مرات ، فى سباقه اللاهث وراء الاحداث .

.. وهو لكى يكتب مؤلفه الذى قدمنا لك تلخيصا له فى الصفحات السابقة ، عن حياة انديرا غاندى ، لم يقنع بمجرد الاجتماع بالزعيمة الهندية عدة مرات ، بل حرص على استقصاء كل ما يسعه الحصول عليه من معلومات عنها ــ عن حياتها ، وشـــخصيتها ، وطفولتها ، وأطوارها المختلفة ــ عن طريق التحدث الى زميلات طفولتها ، ومعلمـــاتها فى معهد تاجور ، وأساتذتها وزملائها فى جامعة اكسفورد ، ومرؤوســيها فى وزارة الاعلام والاذاعة ــ قبل أن تتولى رئاسة الوزارة ــ ثم أصدقائها المقربين فى كافة المجالات .. بل ولازمها فى رحلاتها العديدة التى قامت بها بعد توليها الرئاسة ، الى عواصم العالم الكبرى : لندن ، وباريس ، وواشنجتون ، وموسكو .. كل ذلك سعيا وراء الاتقان والاجادة .

.. وهو مثل ــ فى الاخلاص للعمل ــ أهديه الى كل من يعمل (أو يبغى العمل) فى بلاط صاحبة الجلالة : الكلمة !



FEAST OF THE DEAD

BY : CLEVDET KUDRET

- ١ -

ما أن حل شهر يناير حتى تغير لون الهواء ، **وبدا العالم** - تحت السماء المصبوغة بلون الرماد - مرتديا حلة من الكآبة ٠٠ وكف الناس عن الحركة والتنقل ، فلم يكونوا يغادرون منازلهم الا للذهاب الى أعمالهم ٠٠ وصارت الشوارع - سيما الشوارع الخلفية - خالية من المارة ٠ ولم يعد أحد يستظل بأشجار السنط داخل ساحات المساجد ، أو بجوار النافورة حيث يهرع طالبو السكون والهدوء ، وحيث يتجمع أطفال الشوارع - لاهين عابثين - فى شهور الصيف ٠٠ أما النافورة ، فلم تكن تخلو تماما من روادها ، بل ان بعضهم كان يتردد عليها كل يوم ، بقصد سد حاجته من الماء ٠

وذات يوم ، فوجىء المارة بصبى يركض فى الشوارع لاهث الأنفاس - وكان قد فرغ لتوه من احضار الماء من النافورة - ثم يعترض طريق أول شخص يصادفه ، ويصيح به قائلا : « **لقد توفى دورسون أغا** » !

كان « دورسون أغا » من الشخصيات المعروفة فى الحى ٠ وكان فى الخمسين من عمره ، ربعة ، متين البنيان ، ذا لحية سوداء مستديرة ٠ أما وظيفته فكانت « سقاء » الحى ٠ وكان الرجل رقيق الحال ، محدود الدخل ، تضنيه هموم البحث عن قوت أسرته المكونة من زوجة وطفلين ٠ **ولم يكن رأسماله يتجاوز صفيحتى ماء فارغتين ، وعصا خشبية غليظة ، تتدلى** من **طرفيها سلسلتان** ٠ وقد اعتاد ان يثبت العصا على كتفيه ، بعد أن يعلق الصفيحتين فى طرفيها ، ثم يخرج الى الشوارع مناديا : « ماء ٠٠ هل يرغب أحد في ماء ؟ » ٠

ومع أن صوته كان خافتا ، الا أنه لم يكن واهن الأثر ، اذ كان رنينه يصل الى آخر منزل فى الشارع • فكان الراغبون فى الحصول على الماء ينادونه قائلين : « نوبة واحدة يا دورسون أغا » ، أو « نوبتان » ، أو « ثلاث نوبات » •• وكانت النوبة ـ فى لغتهم ـ تعنى صفيحتى ماء •

واذ ذاك كان دورسون أغا يهــرع الى النافورة فى أعلى التل ، ليملأ صفيحتيه ، ويظل فى رواح وغدو ، ينقل الماء من النافورة ، لقاء ثلاثة قروش عن كل نوبة • **ولعله بذلك ـ أى بطريقة اكتساب قوته اليـومى ـ كان كالذى يستعين بابرة ليحفر بئرا عميقة** ! •• ولو انه قصر جهده على القوت اليومى ، لما صار بوسعه أن يطعم أربعة أفواه ، ولكن رحمة الله شاءت أن تغدق عليهم مزيدا من الرزق • فقد اعتاد بعض سكان الحى أن يستدعوا زوجته « جولناز » ـ ثلاث مرات فى الأسبوع ـ كى تتولى غسل ثيابهم •

كانت الزوجة تحاول من جانبها ـ وفى حدود امكانياتها وعملها هذا ـ أن تساعد زوجها على اكتساب القليل من الرزق، مستعينة على ذلك بالحيلة • فكانت تعمــــد الى الاسراف فى استهلاك الماء ، مما يضطر زبائنها الى شراء مزيد منه ، فتتيح ـ بذلك ـ الفرصة لزوجها ، كى يضيف الى دخله ثلاثة قروش أخرى !

أما الآن ، فقد انهار كل شىء فجأة • وما لبث الناس أن عرفوا كيف لاقى « دورسون » حتفه ••فقد كان يسير بحمولته من الماء ، فى شوارع المدينة المغطاة بالجليــد الذى انهمر من السماء فى الليلة الماضية ، وقد زادت من لزاجته القطـــرات

المنسابة من ثقوب صفيحتى الماء . **وفجأة تعثرت قدما « دورسون » وانزلقتا ، ومادت كتفاه بحمولة الماء ، ففقد توازنه ، وسقط على الأرض .. واذا رأسه يرتطم بحافة افريز الشارع الحجرى .**

وراح الناس يتساءلون : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟.. منذا الذى كان يتوقع أن يموت دورسون هكذا فجأة ؟ .. أمن الممكن أن يكون العملاق هشا ، ضعيفا الى هذا الحد ، فلا يقوى على تحمل أقل لطمة ؟ .. منذا الذى كان يظن أن جمجمة صلبة كجمجمته يمكن أن تتهشم بالسهولة التى تهشمت بها ؟ .. لكن الأمر ما لبث أن ازداد وضوحا : ذلك لأن أشد الناس صلابة ، وأوفرهم حظا من الصحة وقوة البنية ، يمكن أن يموت هكذا .. على حين غرة ، وبلا انتظار !

- ٢ -

ولما بلغ النبأ مسامع « جولناز » أصيبت بالذهول ! .. رباه ! أكان ذلك عقابا لها على ما كانت تلجأ اليه من حيل وخداع فى استهلاك الماء ؟! .. كلا ، وألف مرة كلا .. فحاشا لله أن يعاقبها على فعلتها بهذه الصرامة ، وليس ما حدث سوى كارثة عارضة لا يد لها فيها ، والناس شهود على ما حدث .. ومن ناحية أخرى ، ليست الوفاة من جراء سقطة كسقطته عسيرة التوقع بالنسبة لسواه من البشر !

أجل .. كل انسان معرض لأن يقع له هذا ، ولكن كل انسان لا يموت قبل أن يترك لذريته — على أقل تقدير — شيئا ما ! .. **أما « دورسون أغا » ، فلم يورث أسرته سوى صفيحتين فارغتين .. وعصا خشبية !**

والآن ، ماذا تملك « جولناز » أن تفعل ؟ ٠٠ لقد فكرت ، وفكرت ، حتى توقف عقلها عن التفكير ، دون أن تهتدى الى حل ٠٠ فليس من اليسير على امرأة أن تكفل وحدها ـ بعد وفاة زوجها ـ ولدين : أحدهما فى التاسعة من عمره ، والآخر فى السادسة ٠ ترى كيف تستطيع أن تقيم أودهما بما تكسبه من غسل الثياب ؟ ٠٠ وعادت الى ذاكرتها صور الماء الذى كانت تسرف فى استهلاكه ، وتضيعه هباء ٠ ولكن ، ماذا يجدى التفكير فى ذلك الآن ؟ ٠٠ لقد تغير كل شىء ، ولم يعد ثمة فرق بين الاسراف فى الماء ، والتقتير فيه ٠٠ ولو أنها عرفت وسيلة أخرى للكسب ، لما ترددت فى أن تهجر مهنتها الى سواها ٠٠ **لقد صار الماء ـ الذى كان فى الماضى مورد رزقها ـ كريها فى عينيها فجأة ، وغدت ترى فى بريقه غدرا ، وفى انسيابه عداوة وبغضاء ٠٠ ولم تعد ترغب فى سماع سيرته !**

* * *

وعندما كان الموت يدهم أحد المنازل ، لم يكن ذكر الطعام يأتى على الألسن طوال ست وثلاثين أو ثمان وأربعين ساعة ٠٠ ولكن ، ما أن تبدأ الأمعاء فى التلوى ، ويسرى الخدر والوهن فى الأطراف ، حتى يصيح أحد الأشخاص قائلا : « تعالوا ٠٠ ينبغى أن نتناول طعاما » ٠٠ ثم لا تلبث الحال أن تعود الى مجراها الطبيعى ، بعد أن تمتلىء البطون ٠٠ وفى مثل هذه المناسبات اعتاد جيران أهل المتوفى أن يبعثوا الى المآتم طعاما لمدة يومين !

وكانت أول وجبة ارسلت الى « جولناز » وولديها ، من المنزل الأبيض اللون ، الذى كان يقع على ناصية الشارع ، ويملكه « رئيف أفندى » التاجر ، الذى كان بوسع أى انسان أن يدرك – من أول نظرة على منزله – انه يرتع فى بحبوحة من العيش . ففى ظهر اليوم التالى لوفاة « دورسون » ، أقبلت خادمة « رئيف أفندى » ، تحمل صينية كبيرة ، ثم قرعت الباب . وبرغم أن أحدا لم تكن به رغبة فى الطعام ، الا أنهم ما أن رفعوا غطاء الصينية الأبيض ، وشاهدوا محتويات الأطباق – المكونة من الشعرية المخلوطة بشرائح الدجاج ، وقطع اللحم التى تتوسط حساء دسما ، وقطع الجبن المستديرة ، وبعض الحلوى – حتى سال لعابهم ، وما لبثوا أن أحاطوا بالمائدة فى صمت .. **ولما كانت أعينهم لم تقع من قبل على طعام بمثل هذه الجودة ، فان الجوع عربد فى أحشائهم الخاوية ، فأقبلوا على الطعام بنهم ، متلذذين بكل ما كان يصل الى أفواههم .**

وفى اليوم التالى ، تكفل جار آخر باحضار الطعام .. واستمرت الحال على هذه الوتيرة ثلاثة أيام . ومع ان طعام اليومين التاليين لم يكن يضارع – فى جودته – طعام اليوم الأول ، الا أنه كان – على أية حال – أفضل من أى طعام اخرجته قدور جولناز .. ولعله كان من الجائز أن تحتمل جولناز وأطفالها الفاجعة فى صبر ، لو أن هذه الحال استمرت .. ولكن .. ما أن توقف مجىء الطعام ، ونفد الفحم الذى كانت جولناز قد ابتاعته رطلا بعد رطل ، حتى أدركت الأرملة ان مصيبتها تجل عن كل عزاء !

وفى أول يوم انقطع فيه ورود الطعام ، ظل الأمل يراود أفئـدة الأم وولديها ، حتى الظهيرة ٠ وكانوا يركضون الى الباب ، كلما طرق أسماعهم وقع أقدام فى الشارع ، راجين أن يشاهدوا صينية ضخمة ، وقد انسدل فوقها غطاء أبيض اللون ! ٠٠ لكنهم كانوا يشاهدون ـ بدلا من ذلك ـ **أناسا رائحين وغادين ، منصرفين الى شؤون حياتهم اليومية المعتادة ، عابرين باب منزلهم وقد تدلت أذرعهم الى جوانبهم !**

ولما مرت فترة الغداء ، وتأكدوا من أن أحدا لن يحضر لهم طعاما ، اضطروا الى أن يطهوا مايسد جوعهم ٠٠ ولكنهم كانوا قد ألفوا ـ فى الأيام القلائل السابقة ـ ألوانا من الطعـام جعلت من العسير على الولدين أن يستسيغا البطـاطس الذى قدمته لهم « جولناز » دون أى أثر للزبد ! ٠٠ عـلى أن الأم وولديها لم يكونوا يملكون سوى الاستسلام للواقع ، والرضى بما قدر لهم !

غير أنهم لم يشعروا بلذعة الجوع حقيقة ، الا حين نفدت مؤونة المنزل من الزبد والدقيق والبطاطس ، **وأصبح لزاما عليهم أن يقنعوا بأى شىء تقع عليه أيديهم : بصلتين ، أو بعض ثوم ، أو ملء حفنة من الفاصوليا ٠٠ وأخيرا حل اليـوم الذى فرغت فيه كل القدور والسلال والزجاجات والصـناديق ٠٠** وفى ذلك اليوم ـ وللمرة الأولى ـ باتت بطونهم على الطوى !

***

ومضى صباح اليوم التالى كسابقه ٠٠ وبعد الظهر بقليل ، صاح الابن الأصغر : « أماه ٠٠ ان أحشائي تؤلمني » ٠ فأجابته

« جولناز » : « صبرا . لابد أن يأتى الفرج » . لكن الفرج لم يأت ، وطال الصبر .. وشعروا جميعا بأن أحشاءهم قد تقلصت فصارت فى حجم قبضة يد الطفل ، وباتوا يحسون بدوار كلما انتصبوا على أقدامهم ، وفى مثل هذه الحال يفضل المرء أن يستلقى على ظهره ، اذ أنه يحس كأنه يحلم !

وصارت تتراءى أمام أعينهم أطباق حمراء وخضراء ، تتراقص ، بينما تتردد فى آذانهم أصوات رنانة جوفاء .. وما لبثوا أن اكتشفوا أن أصواتهم قد رقت ووهنت !

وفى اليوم التالى ، رقدت « جولناز » فى فراشها ، تراودها أحلام اليقظة : قد يحضر اليها من يطلب غسالة .. وقد تتلقى من احدى السيدات رسالة تدعوها فيها لتتولى غسل ثيابها ! .. وبعد أن كانت « جولناز » قد أقسمت ـ عقب فجيعتها فى زوجها ـ أن لا تمس الماء مرة أخرى ، غدت تتحرق شوقا الى أن تضرب فيه بيديها وذراعيها طيلة النهار ، لتغسل الثياب.. **ولكن الجارات ـ من ناحيتهن ـ كن يشفقن من استخدامها ، وكن يتهامسن : « يا للمسكينة ! .. لا ريب أن الحزن قد أثقل قلبها ، فلم تعد فى حال تسمح لها بأن تغسل مرة أخرى .. يا لها من بائسة ! »**

وجاء صباح آخر ، لم تحاول فيه « جولناز » وولداها النهوض من الفراش ، وهنا وعجزا ، فظلوا راقدين يحلمون بالطعام . وقال الابن الأصغر لأمه : « أماه .. أرى خبزا .. انظرى ! انظرى ! » ، ومد يده وكأنه يهم بأن يمسكه ، وعاد يهذى : « الخبز .. لكم يبدو شهيا ، ناضجا ، ناعم الملمس ! »

أما الابن الأكبر ، فقد راح يحلم بالحلوى ، ويلوم نفسه.. لكم كان غبيا ، اذ التهم كل ما قدم اليه منها فى الأيام الأولى .

بدلا من أن يحتفظ بنصيب للأيام التالية ٠٠ لو أن أحدا قدم اليه الآن قسطا منها ، لعرف – فى هذه المرة – كيف يتصرف، لأكلها فى بطء ، مستحلبا كل قطعة منها على مهل !

***

وظلت جولناز فى فراشها ، تستمع الى همهمات ابنيها ، وقد عضت على شفتيها، كى تمنع نفسها من الانفجار فى البكاء. **غير أنها لم تملك أن تمنع تسلل الدموع من خلال أجفانها المغمضة ، وانسيابها على وجنتيها** ٠٠ وظلت فى رقدتها ، متتبعة – بحاسة السمع – كل ما كان يجرى فى الخارج من أحداث : ها قد انصفق أحد الأبواب ، دلالة على أن « كيفات » قد خرج الى المدرسة ٠٠ انه لا يفتأ يصفق الباب فى كل مرة يخرج فيها ، على نقيض أخيه الأكبر « سليمان » ، الذى يغلق الباب فى هدوء ٠٠ ثم طرق سمعها صوت امرأة مسنة ، تعانى من آلام الروماتيزم ، وهى تجر قدميها خلفها ٠٠ انها أم « صالح » – الذى كان يعمل نوتيا على ظهر احدى البواخر – وهى فى طريقها الى السوق كى تبتاع حاجياتها ٠٠ أما الذى يخرج فى هذه المرة ، فهو « تحسين أفندى » الحلاق ، الذى يقطن المنزل الأحمر فى آخر الشارع ٠ انه يخرج دائما فى هذه الساعة ليفتح حانوته بالشارع الرئيسى ٠ وهذا « حسن بك » ، حفيد « ادريس أغا » التاجر ٠ انه يعمل كاتبا فى شركة الكهرباء ، ولن يلبث أن يترك منزله بمجرد ان يعثر على فتاة مثقفة تقبل الزواج منه ٠٠ أما تلك فهى « نورية هانم » المعلمة ٠ وهذا « فضل الله أفندى » الاسكافى ٠٠ وذاك « كميل

بك » جابى الضرائب ٠٠ وأخيرا ، ها هو بائع الخبـز الذى يتوقف دائما أمام منـــزل « رفقى بك » ٠٠ انه يحضر كل صباح ، فى ذات الساعة تماما ، وقد تدلت سلال الخبز على جانبى حصانه ٠٠ سلال محشوة بالخبز الى حوافها ، وبوسع المرء أن يسمع صوت حفيفها على بعد أميال طويلة !

وكان الابن الأكبر هو الذى سمع صوت حفيف السلال ، فنظر الى أخيه ٠٠ ثم سمعه أيضا الفتى الأصغر ، فاستدار - بدوره - الى أخيه ٠٠ وتلاقت عيونهما ٠ وغمغم الابن الاصغر قائلا : « الخبز ٠٠ الخبز ! »

- ٣ -

وأخذ الصوت يقترب تدريجا ، فنهضت « جولناز » على مهل ، وتناولت وشاحا نشرته على كتفيها اتقاء للبرودة ، ثم استعدت للخروج ٠ لقد قررت أن تطلب من البائع أن يعطيها رغيفين على الحساب، راجية أن تسدد ثمنهما من أجرة الغسيل٠ وما أن لامست يداها مصراع الباب ، حتى توقفت فجأة ، وقد تركزت كل حواسها فى أذنيها ، وبث فى نفسها صـــوت اقتراب وقع خطوات الحصان تحفزا أخذ يزداد شيئا فشيئا ، وما أن صار مصدر الصوت على قيد خطوات ، حتى استجمعت قواها وجرأتها ، وفتحت الباب ٠

وصـــافح عينيها مرأى الخبـــز ، فراحت تحملق بعينين جاحظتين ، فى تلك النعمة العابرة أمامها ٠٠ كانت هنـــاك سلتان مربعتان ، كبيرتا الحجم ، بحيث أخفتا معظم جســد الحصان ، وكاد قاعاهما أن يلامسا الأرض ، وقد غصتا بالخبز

الى حافتيهما ٠٠ **وكان خبزا شهيا ، صنع من الدقيق الناصع البياض ٠٠ وكانت الأرغفة تبدو طازجة ، اسفنجية ، يبعث ملمسها البهجة فى النفوس ٠٠ بل ان الأصابع لتغوص فى لبابها بمجرد اللمس ٠ أما عبيرها فحدث عنه ولا حرج ، اذ كان عبيرا يخترق الخياشيم ويغوص منزلقا الى الحلق !**

وابتلعت « جولناز » لعابها ٠٠ وفى اللحظة التى كادت تفتح فيها فمها كى تخاطب الرجل الملتحى ، صاح هذا فى الحصان يستحثه على المسير ٠٠ واذ ذاك فقدت كل شجاعتها ، فلم تستطع أن تنبس بكلمة ، بل تسمرت فى مكانها ، وراحت ترقب سلال الخبز وهى تبتعد عنها ، وتنأى عن متناول يدها ٠ كان الطعام ــ نعمة الله ــ يمر ببابها ، وهى عاجزة عن أن تمد يدها لتأخذه ! ٠٠ وسار الحصان مبتعدا فى بطء ، ملوحا بذيله الطويل ، ذى الشعر الأبيض ، وكأنه يلوح لها بمنديل قائلا : « الوداع يا جولناز ٠٠ الوداع يا جولناز ! »

وكل ما فعلته « جولناز » بعد ذلك ، انها تقهقرت الى حجرتها ، ثم صفقت الباب خلفها ، ولم تعد تجرؤ على مواجهة نظرات الغلامين ، اللذين كانا ينتظران فى ترقب ، والأمل يداعب خيالهما ٠٠ ولم تجد مكانا تخفى فيه يديها الفارغتين ٠ وفجأة شعرت بالخجل اذ كانت لها يدان ٠٠ ولم تتردد فى جنبات الغرفة ثمة كلمة ٠ كل ما فعله الغلامان أن انقلب كل منهما على جنبه الآخر ، كيلا يشاهدا فراغ يدى أمهما !

أما « جولناز » فقد ألقت بجسدها فوق حشية على الأرض ، ووضعت قدميها أسفل ردائها ، وغطت ذراعيها بالوشاح الذي كانت قد وضعته فوق راسها ، وقبعت في ركن

من الغرفة ، وكأنها كانت ترغب في أن تتلاشى ، وأن تفارق الوجود !

***

وبدت « جولناز » ككومة من قصاصات الخرق البالية ٠٠ وغدا جو الغرفة مشبعا بالتوتر ٠ وانقضى نصف ساعة أو أكثر قليلا ، دون أن ينبس أحد ببنت شفة ٠

وأخيرا صاح الغلام الأصغر ، مبددا شـــمل الصمت : « أماه ٠٠ أماه ! »

ــ نعم يا بنى ؟

ــ لم أعد أحتمل ٠٠ أشعر بشىء يتحرك فى جوفى !

ــ أواه يا بنى الحبيب ٠٠ يا بنى الصغير !

ــ هنا يا أمى ، فى جوفى ٠٠ شىء يتحرك !

ــ إنه الجوع يا حبيبى ، وانى أحسه بدورى ٠٠ لا تقلق ! ٠٠ كل ما هنالك ان امعاءك تتحرك ٠

ــ اننى أموت ٠٠ أموت !

واذ ذاك فتح الغلام الأكبر عينيه ، ونظر الى أمه ، بينما كانت « جولناز » تغمر كليهما بنظراتها الملتاعة ٠ أما الغــلام الأصغر ، فقد كف عن الكلام ، وبدت عيناه أكثر سوادا ؛ وغارت وجنتاه اللتان ترهل جلدهما ، وشحب لونهما ، حتى حاكى لون الثلج ٠ وفجأة أشارت « جولناز » لابنها الأكبر ، فتحامل على نفسه حتى نهض ، وتبعها الى خارج الحجرة ٠ وفى الردهة ، بين الغرفتين ، همست الأم فى أذنه ــ كيلا يسمعها أخوه الأصغر ــ قائلة : « اذهب الى « بودوس » البقال ، واطلب

منه قدرا من الأرز والدقيق وقليلا من البطاطس ٠٠ وقل له اننا سنسدد الثمن بعد أيام قلائل ! »

ولم يكن المعطف الذى تدثر به الغـــلام كافيا لأن يقى جسده لذعة البرد ، مما جعله يعانى مشقة فى المسير ، فكان يقف ـ كل بضع خطوات ـ ويستند الى الجدران ٠ ولما بلـغ هدفه ، دخل المتجر الذى كانت الحرارة تسرى فيه من مدفأة كبيرة ، وانتظر الغلام حتى يفرغ الآخرون من شراء حاجياتهم ، راجيا أن تسنح له فرصة يتحدث فيها الى البدال على انفراد ٠٠ مستعذبا دفء المتجر !

ـ ٤ ـ

وما أن انصرف الزبائن ، حتى ابتعد الغلام عن المدفأة التى كان يقف بجوارها ، وطلب من البدال رطلا من الأرز ، وآخر من البطاطس ، وثالثا من الدقيق ٠ ثم دس يديه فى جيوبه ، متظاهرا باخراج النقود ، لكنه ما لبث أن صاح قائلا : « آه ٠٠ لقد تركت النقود بالمنـــزل ٠ ما أشق أن أعود الى المنـــزل لاحضارها فى هذا البرد الفظيع ٠ اكتب لى الثمن ، وسأحضره لك غدا ! »

غير أن «بودوس» كان خبيرا بتلك الحيلة ، فقال له : «**لقد نحل جسدك ٠ والذى يملك نقودا لا ينقص وزنه هكذا ! »** ، ثم سحب الغلام الى أحد أركان المتجر وقال له : « احضر النقود أولا ، ثم خذ ما شئت ! » ٠ فأجابه الغلام وقد أمضه انكشاف حيلته : « حسنا ، سأحضرها » ، ثم هرول الى الخارج !

وما ان انصرف الغلام حتى التفت بودوس الى زوجته ـ التي كانت تساعده في ادارة المتجر ـ وقال : « يا للمساكين !

.. لكم أشفق عليهم ! .. انني لأعجب كيف أصبحوا يعيشون ! » ، فأطرقت زوجته برأسها ، ثم أجابت : « نعم ، انني أشفق عليهم أيضا .. يا لهم من تعساء ! »

وأحس الغلام بأن برودة الشارع قد غدت أكثر قسوة مما كانت عليه قبل أن يدخل المتجر .. وعند ناصية الشارع ، شاهد الدخان يتصاعد من مدخنة المنزل الأبيض، فراح يتأمله مبهورا ، محسورا .. وهتف فى أعماقه : «ما أسعد سكانه !».. **ولم ينبعث هذا القول عن احساس بالحسد ، وانما صدر عن اعجاب وتقدير لأولئك الذين ملأوا معدته - ذات يوم - بأشهى طعام ذاقه فى حياته !**

وحث الغلام خطاه ، بكل ما وسعه من قوة ، وقد أخذت أسنانه تصطك من فرط البرودة . ولما دخل الغرفة لم يقل شيئا لأمه أو لأخيه ، اذ لم يكن ثمة حاجة الى قول ، فقد كانت يداه الفارغتان افصح من أى بيان . وفى هدوء وقف يخلع ملابسه - أمام عينى أمه المتسائلتين - ثم رقد فى فراشه ، الذى لم يكن قد فقد حرارته بعد . وما لبث أن قال : « أشعر بالبرودة .. أشعر بالبرودة ! » . فنهضت « جولناز » ، وكومت كل ما وقع فى يدها من ملابس فوق جسده ، ثم جلست الى جواره ، **ترقب فى قلق واضطراب كومة الثياب التى راحت ترتفع وتنخفض فوق جسد الغلام المرتجف !**

واستمرت رعشته زهاء ساعة ونصف الساعة أو أكثر ، ثم ما لبثت أن تحولت الى حمى شديدة . ورقد الغلام ممددا على ظهره بلا حراك ، وراح يحملق فى السقف دون أن يبصر شيئا . وبعد قليل ، رفعت « جولناز » الغطاء عن جسده ، وانهمكت في تدليك جبهته بيديها الباردتين .

وفجأة لاحظت انها لم تعد تحس بالجوع ، وشعرت بما يشبه الخدر الذى ينشأ عن البرد القارس أو الدفء الشديد !

وقضت المرأة النهار بأكمله ، تذرع الغرفة جيئة وذهابا ، حتى اذا ما حل المساء ، دب اليأس فى قلبها ، وفقدت القدرة على التفكير ، ولم تعد تدرى ماذا تفعل •• وظلت تدخل الغرفة ثم تخرج منها ، وعينـــاها ككرتين من زجاج ، تتنقلان بين السقف والجدران تارة ، وبين قطع الأثاث تارة أخرى •

***

وحين غربت الشمس ، وحل الظلام ، تكومت فى زاوية من الغرفة ، تتلمس بيديها المرتجفتين الأغطيـة التى كانت تدثر جسد الغلام • وفجأة خطر لها ســؤال عارض استبد بها : « ألا يوجد من يدفع ثمنا لهذه الخرق ؟ » •• وتذكرت حديث بعض الجيران عن حانوت يتجر صاحبه فى الملابس المستعملة • ولكن ، لابد أن الحانوت مغلق ، فى مثل هذه الساعة •• اذن ، فليس أمامها سوى أن تنتظر حتى الصباح •

واذ استقر قرارها عـــلى هذا الحل الموفق ، هدأ روعها ، وعاد اليها هدوؤها ، فكفت عن التجول فى الغرفة ، وقبعت الى جوار ولدها ، وهى تحملق فى الفضاء • وظلت على هذه الحال وقتا طويلا ، بينما كان الولد المحموم يزداد استغراقا فى بحران الحمى ، وحرارته ترتفع باضطراد ، من لحظة الى أخرى ••

أما الولد الأصغر فقد لبث مؤرق الجفنين ، يتلوى من الجوع القارص ، ومكث ــ بدوره ــ يشـــاهد ما كان يدور أمامه ، وعيناه مفتوحتان ••

وشرع الصبى المريض يئن ، ويتقلب على جنبيه - من فرط الحمى - دون أن يجد الراحة على أيهما . وكانت وجنتاه متوقدتين ، مشتعلتين . وما لبث أن راح يهذى ، وقد ثبتت عيناه الواسعتان ، الجامدتان ، على بقعة معينة من السقف ، وان لم يكن - فى الواقع - يبصر شيئا .

ولما عاودته نوبة الهذيان ، نهض أخوه فجلس فى فراشه، ثم قال بصوت خافت ، بلغ مسمع أمه بمشقة :

- ترى هل سيموت أخي ؟

وإذ ذاك ارتجف جسد المرأة ، وكأن لسعة برد أصابته ، ونظرت الى ابنها بعينين تفيضان جزعا .. وقالت : « لماذا تسأل ؟ » .. وتردد الغلام برهة ، وهو واقع تحت نظرات أمه المتفرسة ، ثم انحنى نحوها ، واقترب بفمه من اذنها - كيلا يسمع أخوه قوله - وهمس : « **لأن .. لأن الطعام سيأتى عندئذ .. من المنزل الأبيض ! »**



دعيني أقبل مفاتنك التي أغرقتني في
حبيبتي
يا ملاكي الغالية!
إنني حاقد على الطبيعة التي تعذب جسدك الجميل!

هذه الرسائل !

كلمة تقديم : للمحرر

« ان التستر على شذوذ العظماء يعنى نوعا من الطبقية ، ذلك ان كل ما يحدث فى حياة الرجل العظيم ، أيا كان طابعه الخاص ، له أثره فى نفس الرجل ، وفى عمله ، ومهنته »

ستيفن سبندر

هذا كشف خطير عن ناحية مجهولة من سيرة «فولتير» .

مجموعة من الوثائق — ١٥٦ رسالة بقلم الأديب العالمى الكبير — نشرها البحاثة المحقق الأستاذ « تيودور بسترمان » مؤسس ومدير « معهد ومتحف فولتير » بجنيف ، **بعد أن ظلت قرنين فى طى الكتمان !**

وقد شاءت المصادفة ان أكون فى (جنيف) حين نشر « بسترمان » كشفه الخطير ، فسعيت الى مقابلته فى معهد فولتير هناك . وخرجت من اللقاء وفى يدى نسخة كاملة من تلك الرسائل ، ومعها اهداء رقيق الى (كتابى) بخط بسترمان ، يراه القارىء تحت هذه السطور .

à la revue Kitabi

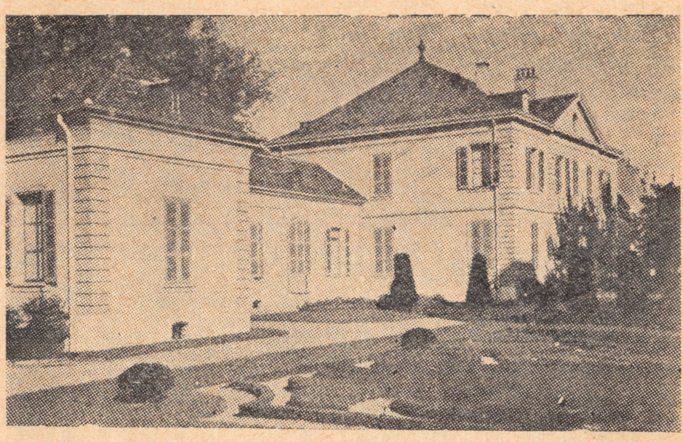
Theodore Besterman.

ولقد تخصص « بسترمان » فى جمع تراث فولتير ، وأتاحت له ثروته الخاصة أن يقتنى الكثير من مخلفات القرن الثامن عشر وأوراقه ، وأن يصنفها ويعرضها فى قصر « الديليس » الذى بناه فولتير لنفسه داخل الأراضى السويسرية قرب حدود فرنسا ، (فقد كان فولتير يتقن فن الفرار بحيث يصبح على الفور فى مأمن من تعقب رجال الرقابة ومن بطش الشرطة الملكية ، كلما هاجم نظام الحكم الفرنسى) . وعكف « بسترمان » منذ عدة سنوات على نشر رسائل فولتير جميعها التى أرسلها الى كل من راسلهم من عارفيه ، وأصدقائه ، وأعدائه ! ـ وما أكثرها وأهمها لدارسى الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الفترة التى مهدت لقيام الثورة الفرنسية ! ـ وهكذا ظهرت عشرات من المجلدات الكثيفة ، تحتوى على الاجزاء الاولى من المجموعة الكاملة لرسائل فولتير ، أما بقية الرسائل ـ بترتيبها التاريخى ـ فما زالت فى طريقها الى المطبعة لتظهر تباعا .. وقبل أن يتم نشرها كلها ، عثر « بسترمان » على هذه المجموعة من الرسائل الغرامية ذات الطابع الشاذ ، فقطع انتاجه المألوف ليفاجىء العالم بكشفه الخطير !

واذا كانت الظروف لا تسمح بنشر النصوص الكاملة لمجموعة رسائل « فولتير » المكتشفة الى « ابنة اخته » ، لما تحتويه من عبارات وألفاظ لا تتفق وتقاليدنا ، كما تتنافى مع منهج (كتابى) .. فان نشر عرض وتلخيص « مخففين » لمجموعة هذه الرسائل ، وبعض نماذج منها ـ فيما يلى ـ

يعتبر أمانة لرسالة الثقافة والبحث ، بل واجبا يقتضيه الانصاف للحقيقة والتاريخ .. ولو كانت فيه اساءة لفولتير نفسه .. كانسان !

حلمى مراد



الواجهة الجنوبية لمعهد ومتحف فولتير فى جنيف ، وقد افتتحا فى ٢ اكتوبر ١٩٥٤ . وقد عاش فولتير فى هذا القصر عشر سنوات (١٧٥٥ - ١٧٦٥) ، وكان هو الذى أطلق عليه اسم « ليه ديليس » (أى « الملذات ») ، ويضم القصر : (١) رواق المعروضات ، وبه لوحات زيتية تمثل فولتير ، والمركيزة دى شاتليه ، وروسو ، وكراسات توقيعات (« أوتوجراف ») وطبعات جميلة ونادرة من مؤلفات فولتير . (٢) صالون القصر ، وبه تمثال نصفى لفولتير تراه فى ص ١٣٧ . (٣) الردهة البيضاوية ، وبهاالتمثال الذى تراه فى ص ١٥٣ . (٤) قاعة المكتبة ، وتضم مجموعة ضخمة من المخطوطات ، و٨٠٠٠ مؤلف عن فولتير والقرن ١٨ ، ورسوم وصور فوتوغرافية لجميع رسائل فولتير ، ووثائق اخرى .

بطلا المأساة .. فى سطور

لسـنا فى حاجة الى التعريف بفولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ، فقد بلغ من الشهرة فى حياته وبعد مماته ما قلما يتاح لانسان . خرج من الطبقة الوسـطى ، ولكنه ارتفع بفضل ذكائه ومواهبـه حتى طاول عظمـاء عصره وجالس الأمراء والملوك . **ولم يلبث حتى ألب عـلى الأمراء والملوك ـ وهو النديم الداهية ـ عامة الشعب . خاض فى كل صغيرة وكبيرة تعنى أهل جيله . تدخل فى مشاكل السياسة ، والقضاء ، والعدالة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها . وبث دعوته للحرية فى أسلوب ساخر نفاذ ، يفضح المظالم ، ويلهب ثورة العقل والضمير عـلى فساد الأوضـاع وامتهان البشر** . وعالج فنون الأدب كلهـا : قرض الشـعر وأبدع النثر ، مدح وهجا ـ وتفوق فى الهجاء لا فى المديح ـ وكتب العديد من المسرحيات ، ومثل أدوار البطولة فى بعضها .. وتنقل من الملحمة ، الى التاريخ ، الى القصص ، والى النقد ، والفلسفة ، والأخلاق . وأدى تجديده فى شتى هذه الميادين الى تطور الفكر ، وتحول اتجاهات الذوق ، والى التقدم نحو آفاق العصر الحديث ..!

ولكن فولتير العظيم .. أبا الثورة الفرنسـية .. العملاق .. شعلة الذكاء والدهاء .. ونجم الأدب والتاريخ.. لم يكن الا انسانا عاديا ، بل انسانا ضعيفا بائسا ، ينحدر ـ رغم مواهبه وعبقريته ـ الى هوة الغفلة ، ومباذل الشذوذ!

هـذه هى الحقيقـة المؤلمة التى نسـتخلصها من قراءة مجموعة رسـائله الى ابنة اختـه « مدام ديني » . ان هالة

الاعجاب التى أحاطت باسم فولتير لتتبـدد أمام أنظارنا . وما أصغر الرجل الكبير اذا وقفنا على بعض خفايا حياته !

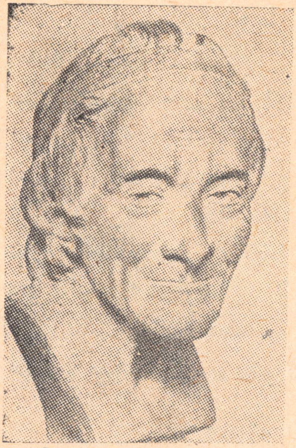
شجرة العائلة ..

وقبل أن ندخل فى صميم القصـة ، تعال نتعرف أولا الى الأسرة التى انحدر منها فولتير :

كان أبوه « فرانسوا أرويه » (١٦٥٠ ـ ١٧٢٢) موظفا ببلاط ملك فرنسا ، وكان له سـتة من البنين والبنـات ، ولكنه لم يرزق احفادا الا من ابنته كاترين (١٩٦١ ـ ١٧٢٦) وحـدها .. فى حين اكتفى ابنه الذى اشتهر باسم فولتير ـ وكان يدعى بين أهله « فرانســوا مارى » ـ بأن أنجب للأسرة مجدها وسناها !

وقد تزوجت « كاترين » هذه من موظف بالبلاط الملكى ايضا ، ينتمى الى نفس بيئة أبيها ، يدعى « بيير مينيو » ، فرزقت منه بأربعة اطفال ، لايعنينا منهم غير ابنتين : احداهما هى « مارى اليزابت » (١٧٢٤ ـ ١٧٧١) التى تزوجت للمرة الأولى فى سن الرابعة عشرة ، فلما مات زوجها بعد ثمانية عشر عاما لم تحتمل حرمان الترمل سوى سـتة أعوام ، تزوجت فى ختامها للمرة الثانية ، وهى فى سن الثـامنة والثلاثين .. غير انها لم تعمر طويلا ، فقد ادركتها منيتها بعد تسعة أعوام من هذا الزواج ...

أما شقيقتها الكبرى «ماري لويز» (١٧١٣ ـ ١٧٩٠) فهي التي عرفها التاريخ باسم « مدام ديني » ، وهي التي نزيح اليوم الستار عن نصوص الخطابات الغرامية التي كتبها اليها « خالها » فولتير !



تمثال لفولتير بالمتحف ، للفنان « لوكا دي مونتيني »

ويبدو ـ من رسائل فولتير العائلية ـ انه كان يهتم اهتماما خاصا « بماري لويز » هذه منذ صباها ، ويظهر اعجابه بتفتحها للثقافة وللموسيقى . وبات من واجبه أن يرعى شئون هاتين الفتاتين اليتيمتين بعد وفاة أبيهما ـ زوج أخته ـ في أكتوبر سنة ١٧٣٧ . وقد دعاهما لزيارته أثناء اقامته الطويلة في قصر صديقته « مدام دي شاتليه » ببلدة (سيريه) .

وعرض فولتير على « ماري لويز » أكثر من خطيب ثري ، دون أن يفرض رأيه فرضا . وسرعان ما تزوجت أختها . ثم تزوجت هي سنة ١٧٣٨ شخصا أحبته منذ تعرفت به ، هو « نيكولا شارل ديني » المستشار الملكي ، وصار اسمها « مدام ديني » .

وظل فولتير يحيط « مدام دينى » وزوجها بمودته وحدبه • غير أن هذه المرأة الشابة لم تلبث حتى أطلقت العنان لطمعها حين بدأ فولتير يعد مشروع وصيته فى ٩ يناير سنة ١٧٤٠ • وقد نالت كل ما تريده شيئا فشيئا ، واحتلت مكان الصدارة فى وصية خالها الذى بات من كبار الملاك والأثرياء • **وقد طالما تساءل مؤرخو فولتير عن سر ايثاره « مدام دينى » بهذا الميراث الضخم •• أما اليوم فقد انجلى السر • والرسائل التى بين أيدينا لا تبين نوع العلاقة التى ربطت بينهما فحسب ، بل تشير اشارات واضحة الى زحف « مدام دينى » نحو ثروة فولتير !**

غير أن تلك العلاقة لم تتعد – فى السنوات الأولى – حدود المودة الطبيعية والبر بالأقرباء • كان الخال يرسل الهدايا من حين الى حين الى « مدام دينى » وزوجها ، وكان يتدخل بنفوذه لدى المسئولين كلما احتاج الزوج الى ترقية أو امتياز ، وقد زارهما وأقام فى ضيافتهما أكثر من مرة • ولم تتبدل الامور الا بعد وفاة هذا الزوج فى أبريل سنة ١٧٤٤ •

فى تلك الآونة بعينها كاد فولتير ينصرف عن حب « مدام دى شاتليه » – بعد أن فترت حمية عاطفته نحوها – ووجد اذ ذاك فى ابنة أخته أرملة شابة ترتمى فى أحضانه ليواسيها • وانه ليواسيها ثم يحتفظ بها فى أحضانه ، على النحو الذى تسجله هذه الرسائل •••

واليك مقتطفات من أهم ما ورد فيها ، لكى تتتبع خلال الواقع قصة ذلك الغرام الشاذ :

سيريه - ١٨ أبريل ١٧٤٤

يا ابنة أختى العزيزة ، اننى أبلل الورق بدموعى وأنا أكتب اليك . ولو كانت صحتى البائسة تسمح لى بالسفر ، لما ترددت فى أن آتى لأشاطرك البكاء ... لأواسيك ، وأخدمك ، وأظهر كل ما أكن لك من محبة ، وان كانت هذه المحبة عزاء هينا عن مصاب جلل ، ما كان احد يتوقعه ...

غادرى مدينة « ليل » بأقرب فرصة . وماذا عساك تفعلين هناك سوى الاستسلام للألم ؟ تعالى أقيمى فى باريس ، حيث أقدر أن آتى لأقبلك فى شهر أكتوبر . ان من أسباب شقائى ألا أقضى معك كل ما بقى من أيام حياتى . ولكنى أريد أن أراك ما استطعت الى رؤيتك سبيلا . ولابد لى من أن أعرف كل ما ستفعلين ، فاكتبى لى تخفيفا لفجيعتك وفجيعتى . ولحسن الحظ ، أن شقيق زوجك رجل فاضل ، لن يضيف الى ألم مصابك آلام النزاع على التركة . ويبدو أنك سترثين أموالا لا بأس بها . وليس هذا بالتأكيد هو ما يشغلك ، ولكنه الشىء الذى ينبغى أن تصرفى اليه تفكيرك ... وداعا . تزودى بالشجاعة وبالحكمة . ان الحياة حلم ، وحلم محزن ، ولكن عيشى من أجل أصدقائك ومن أجلى أنا الذى أحبك حبا رقيقا .

« ف . »

سيريه ـ ١٤ مايو ١٧٤٤

... ...

أظن أنك الآن فى باريس ، لدى أختك . ولابد أنها مصدر عزاء كبير لك . ان من دواعى أسفى أننى لم أستطع ان احضر لمؤانستك ، ولم استطع ان القاك فى باريس خلال أيام الحداد والقلق التى تجتازينها . واذا كان تنظيم شئونك لا يستغرق وقتك المقبل ، فانى أقترح عليك أن أختطفك وأن آتى بك لتقضى فى (سيريه) شهرا من شهور الربيع . انى أحدثك عن أمل قضاء شهر بجوارك ، يا ابنة أختى العزيزة ، على حين أتمنى لو قضيت بجوارك حياتى كلها . ويبدو لى أن مجرد التمنى لا يكفى قط . وأتخيل أن من الممكن لنا أن نعيش معا أطيب العيش ، وأن يعين كل منا الآخر على تحمل عناء هذه الحياة .

أكتبى لى أين أنت وماذا تفعلين وكيف أصبحت . وفكرى ، يا بنيتى العزيزة ، فى ترتيب حياتك بما يوفر لك السعادة . واعلمى أنه ليس على الانسان أن يسعى لغير هذا فى الدنيا ، وأن الماضى ليس شيئا يذكر ، وانما الشىء الوحيد المهم هو أن نعيش فى هناء ، اليوم وغدا . أما ما عدا ذلك فوهم . انى اقبلك قبلة رقيقة ، وأرجوك أن تكتبى لى اذا لم يشغلك عن الكتابة شاغل .

« ف . »

سيريه ـ ١٤ أغسطس ١٧٤٤

يا ابنة أختى العزيزة ، سأحظى قريبا بفرصة تقبيلك فسوف أستبدل بهدوء « سيريه » صخب باريس . لا مناص لى من أن آتى لاعداد بعض الحفلات ـ وربما بعض الملل ـ



« مدام ديني » ، كما رسمها الفنان « شارل فانلو » في لوحة زيتية تعرض الان ضمن مجموعة « مدام البير بلوم » بمدينة نيويورك .

لأميرتنا ولية العهد وللبلاط الملكى الذى أشعر أننى لم أخلق لأعيش فيه • اننى أحس بشىء من الخجل اذ أترك - بعد أن بلغت هذه السن - فلسفتى وعزلتى لكى أصبح مهرجا للملوك • ولكن يقال ان التزاحم على هذه المكانة العظيمة كان شديدا ، واننى كنت موضع الايثار بهذا الشرف • ينبغى اذن أن أثبت جدارتى به ، وأن أحاول اضحاك البلاط ، وأن أمزج الفخامة بالهزل ، وأن أجتذب اهتمام قوم لا يهتمون الا بأنفسهم ، وأن أقدم مشاهد تجمع بين كل شىء ، بحيث لا تخنق الموسيقى الأقوال ، وأن أجابه عشرين ممثلا ، وأجابه الاوبرا والراقصين ومصممى المناظر ، وفيم كل هذا ؟ لكى تجود على الأميرة ولية العهد بايماءة من رأسها اذا تصادف أن مرت بى !

هيا ، يجب على أن أتحرك ، ما دمت سأراك ، وما دمنا سنتبادل العزاء ، أعزيك أنا عن مصائبك ، وتعزيننى أنت عن الحياة السخيفة التى أعيشها بطريقة تنافى مزاجى ومذهبى فى التفكير •••

« ف • »

الخميس أول أبريل ١٧٤٥

كنت قد عزمت ، يا بنيتى العزيزة ، على لقائك عقب الحفلة التمثيلية فى (فرساى) • ولكن تهريج البلاط قضى بغير ذلك . فقد قيل لى انه ينبغى ان اطلق العنان جريا وراء الملك وأن أقف فى لحظة معينة عند مكان معين ، لكى أشكره - لا أدرى على وجه التحديد لماذا ! - فقد طلبت منه عدة أشياء ، وقيل لى انه وافق عليها جميعا • وهكذا قدمونى الى حضرته السنية ، فاستقبلنى بكل تعطف ، وشكرته بكل

تواضع . ولكن القيام بتوقيع الأوراق شيء أصعب جدا من القيام برفع آيات الشكر . ويقال انني الآن يجب ألا أتحرك قبل أن يتم تدعيم الأمور واحكامها وختمها بالأختام الملكية . وكنت أفضل أن آتي لأقبلك ...

« ف . »

ديسمبر ١٧٤٥

... ما زلت لا أدري متى ستسمح لي ظروفي بأن أغادر بلدا أمقته (يعني فرساي) . ان بلاط الملك ، وعلية القوم ، والعظماء ، تثير ضجري . لن أكون سعيدا الا اذا استطعت أن أعيش معك . لو أتيحت لي عشرتك وأتيحت لي صحة أحسن لأصبحت سعيدا . اني أقبلك ألف قبلة . نفسي تعانق نفسك ، وجسمي وقلبي يعشقانك .

(في السطر التالي كلمات جنسية ، شطبتها « مدامديني » . وقد كتب فولتير هذه السطور باللغة الايطالية لا الفرنسية) .

الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٧٤٥

لقد كتبت لي رسالة تثير الطرب ، فقبلتها . ولا يدهشني قط أنك تحسنين الكتابة بالايطالية الى هذه الدرجة . فمن اللائق جدا ومن وجاهة الرأي أن تكوني خبيرة بلغة الغرام ... لن أصدقك اذ تقولين انه ليس لك أي عاشق . وهل هذا ممكن ؟ في اية بطالة اذن تدفنين كل هذه المفاتن ؟ أتقولين انك لا تزاولين الحب ؟ آه ... وتقولين ان خطابي قد بعث النشوة في حواسك ، ان حواسي أيضا بالمثل ، فلم أستطع أن أقرأ ما كتبت لي من هذه الأقوال

اللذيذة دون أن أشعر بنفسى ملتهبـا حتى أعماق القلب . وأديت لرسـالتك واجب التحيـة الذى وددت لو أديته لشخصك بأكمله .

ان لذة الحواس تمضى وتفر فى غمضـة عين ، ولكن الصداقة التى تربطنا ، والثقـة المتبـادلة ، ومتع القلب ، ونشوة النفس ، لا تنهار ولا تموت على هذا النحو . لسوف أحبك حتى مماتى .

سـوف تجدين هنا ، فى غرفتى ، التـذاكر الأربع لشهود تمثيل مسرحية « أرميد » الموسـيقية . أود أن آتى لأضعها عند قدميك ثم أقوم بالرحلة من باريس الى فرساى مع عزيزتى « دينى » . وداعا ، انى أقبلك ألف قبلة .

« ف . »

مساء الثلاثاء (٢ يناير) ١٧٤٦

يا بنيتى العزيزة ، خطابك يعزينى عن شقائى بالعيش فى فرساى ، وعن صنوف العناء التى لابد من أن أتحملهـا لكى أحصل عـلى أهون الطلبـات ، ولـكى أتقى الأذى الذى يتأهب الجميع لالحاقه بالناس .

ما أحمقنى وما أتعسنى اذ لا أحيا معك حيـاة هادئة ، مغمورة ، بعيدة عن الملوك ، والندماء ، والمهرجين ! ان هـذه الأفكار تدفعنى الى اليأس . ويخجلنى أن أكون حكيما بفكرى الى هذا الحد ، وبائسا بسلوكى الى هذا الحد . لا عقـل ولا سعادة الا لأولئك الذين يعيشون مع أحبائهم .

فى عزمى أن أعود قريبا ، وسوف تبدد صحبتك كل أحزانى . ولكن يا له من مصير أن يكون كل منا على مثل هذا البعد عن الآخر ! وأن يلتمس كل منـا الآخر دون أن نكاد



لوحة تمثل فولتير مع « مدام دينى » رسمها بالباستل الفنان « نيكولا كوشان » ، وهى من المجموعة لوحات الجمعية التاريخية بمدينة نيويورك .

نلتقى ! آه ما أشد ضجرى من ألا نقيم معا فى نفس البيت ! يبدو لى أنك خليقة اذ ذاك بتلطيف خلقى . طاب يومك يا بنيتى العزيزة .

« ف . »

١٧٤٦

جزء صغير منى ، أعنى جسمى ، قد وصل الى باريس ، متعبا شديد العناء . أما نفسى فهى ملكك الى الأبد ، ويروق لها أن تقول لك اليوم كم هى تحبك .

طاب يومك يا بنيتى العزيزة .

« ف . »

١٧٤٦

سأكون حوالى الساعة الثامنة لدى أختك ، ولكنى أكون شاكرا اذا تمكنت من الانسحاب قرب الساعة العاشرة . يا بنيتى العزيزة ، ان الالتقاء بك عند الآخرين ليس التقاء بك . انى أحبك وأشتاق اليك . وأتمنى دائما أن أكون وحدى معك على انفراد . ولكن ، أيتها العزيزة ، لم أكن فى حياتى مريضا الى هذه الدرجة . قلبى سعيد ، وجسمى معذب . آه لو استطعت أن أعيش وفقا لحلمك !

(هذه الرسالة القصيرة مكتوبة باللغة الايطالية) .

١٧٤٦

ضاع وقتى وضاعت صحتى . حيرة النفس ، وآلام الجسم ، وضياع الوقت ، وكثرة الرغبات ، وقلة الجهد ، وعمل لا شىء ، تلك هى حياتى . انك السلوى الوحيدة فيها .

coma va il vostro drama? che fate
mia cara? si vous m'ecrivez adressez
vos lettres a luneville. j'y vais dans
quelques jours. serez vous assez aimable
pour me consoler de votre absense
par la lecture de votre ouvrage? vous
avez la quatre ou cinq cent enfans
charmants qui me feroient souvenir
de leur mere si je ne pensois pas a elle,
et qui sont mes plus chers parents
voyez si vous pouvez m'envoier cette
belle famille. nous sommes icy dans
un pays tranquile qui ne fournit ny vers
ny nouvelles. vous qui etes a la source
de tout cela, ayez pitié de nous
adio mia cara vi amo teneramente
ce 13 a commercy 1747 V

صورة زنكوغرافية للخطاب رقم ١١٩ ، من مجموعة رسائل فولتير الغرامية الى « مدام دينى » ، وعددها ١٥٦ رسالة .

ماذا تفعلين ؟ كيف أصبحت صحتك ؟ وكيف أصبح قلبك ؟ لسوف أحبك دائما ولكننى دائما آسف ألا نقضى معا بقية أيامى •

« ف • »

(هذه الرسالة مكتوبة بالايطالية) •

١٧٤٧

عزيزتى ، ما زلت لا أستطيع الخروج اليوم • سأتعزى اذا شئت أن تحضرى فى تمام الساعة السادسة لزيارة أشد الناس سقما وأشدهم حبا لك •

لونفيل – أول فبراير ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، لقد ذهبت الى (سيريه) ، ومن (سيريه) هوذا صاحبك الشريد قد جاء الى (لونفيل) ، لدى ملك ليس له من الملوك الا الطيبة والشهامة • ولكننى أفضل الى غير حد مخدعك على كل القصور !

هل أتممت كتابة الفصل الثانى من « الكوميديا » التى تؤلفينها ؟ ماذا تفعلين ؟ هل تلقين أحيانا الامير « بوفو » ؟ أظن أنه مغرم بك •••

آه متى تحين عودتى ؟••• اننى أقيم هنا فى قصر ، وحياتى خليقة بأن تستشعر السعادة لو أنك أنت أيضا فى (لونفيل) ، ولكن القدر يفصل بيننا دائما • تلوح على جميع مظاهر السعادة ، غير أننى شقى •

انما تستمتع القلوب بالانصراف الى المحبة فى الفنادق الفقيرة وتحت السقوف المتواضعة • انى مشتاق لبيتك الصغير الذى نأى عنى مزاره ، وأحس كل يوم أننى ينبغى أن أخصص لك آخر أيام حياتى ، وأنك بعد انقضاء ربيعى المجنون ،

وصيفى العاصف ، وخريفى العليل ، أنت وحدك تستطيعين أن تخففى عنى برد شتائى .

يسرنى أن آمل لقاءك فى الشهر القادم . ولكن من المؤكد أننى سأحبك حتى مماتى .

« ف . »

لونفيل ـ ٢٠ مارس ١٧٤٨

أتمنى ان ارى مسرحيتك وان ارى شخصك فى حالة جيدة ، أن أقبل هذا وأن أصفق لتلك . لقد أرسلونى حقا الى المنفى . ان جميع ما يغدقه على ملك بولونيا من الحظوة لا يعادل المتعة التى أجدها فى محادثتك ، ولن أعتقد أننى سعيد الا اذا عدت الى رؤيتك . وداعا أيتها العزيزة ، تمتعى بالصحة واحبى قليلا هذا الذى سيحبك كثيرا طيلة حياته .

« ف . »

***

سيريه فى ٢٩ أبريل ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، هأنذا على الأقل فى منتصف الطريق الى باريس . وسنضطر الى المكوث هنا ثمانية أيام أو عشرة بدلا من يومين ، لأن تصريف الأعمال يستدعى دائما وقتا أطول مما نظن .

اننى أعود بسرور الى هذا القصر الذى حللت به بضعة أيام ، ولكن باريس لن تروقنى الا لأننى سأعود فيها الى لقياك ... انى أنتظر بصبر نافد لحظة انطلاقى لألحق بك . لقد استقبلنى ملك بولونيا بمثل الحفاوة التى استقبلنى بها

ملك بروسيا . ولكن الملوك لم يفسدونى . فما زلت أفضلك بكل تأكيد على كل شيء ، مهما كان . انى أقبلك ألف قبلة يا بنيتى العزيزة بأرق الحنان .

« ف . »

الأحد ٢٢ مايو ١٧٤٨

اذا كان عندك ما أطلب أن تصفحى عنه ، يا بنيتى العزيزة جدا ، فاصفحى عن تقصيرى المزرى عن تقديم الدلائل المتينة على ايثارى اياك بمودتى الرقيقة الأبدية . انما أنت الهدف الوحيد لكل أنظارى ، ويسرنى أننى عما قليل سأصبح أوفر سعادة . انك سلواى وليس لى رغبة أخرى سوى أن أجعلك سعيدة أثناء حياتى وبعد موتى . سأحبك دائما بكل حنان ، الى أن يحين اليوم الذى تفصل فيه شريعة الطبيعة ما سبق للطبيعه وللحب توحيده . فلنتبادل الحب حتى تلك الساعة . انى أقبلك ألف قبلة .

« ف . »

(هذه الرسالة مكتوبة باللغة الايطالية) .

كوميرسى فى ١٩ يولية ١٧٤٨

... أقعدنى عنك وسيقعدنى طويلا مرض ملازم تجدد عنفه . اننى فى حال فظيعة . لست من أهل اللذة ولا من أهل العمل ، وأنا محروم منك . وفى الحقيقة ، اننى أحس أنه لم يبق لى الآن زمن طويل أحياه . أمن المقدر ألا أقضى معك آخر أوقات حياتى وألا أحظى بحلاوة ختامها فى

حضنك ؟ أكتبى لى ، واسينى ، فقلبى احوج الى رسائلك من جسمى الى الأطباء .

« ف . »

كوميرسي فى ٢٧ يولية ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، ما زال عسيرا على أن أسترد صحتى ، رغم اتباعى نظاما علاجيا صارما ... بل لنناقش مسألتك ، فهى أهم عندى من صحتى . هل حق علينا ألا نعيش معـا وألا أستطيع أن أقوم مقام هذا الضابط الذى جاء من مدينـة « ليل » يطلب يدك ؟ أقسم انها لتضـحية عنيفة تلك التى أضحيها اذا وجب ارغام قلبى على أن يدعك ترحلين الى اقليم (الفلاندر) . سأكون مضطرا الى أن أتمنى أن يسرع هـذا الضـابط الى الجلاء . ولن أتعزى الا فى حالة ما اذا أعقبت وصيته عقد قرانه بوقت قصـير . ومهما كان الأمر ، فانى أترك تصريفه للباقتك وحرصك . لا تفعلى شيئا قبـل أن تتأكدى من الحصول على مزية كبيرة .. انى أرجو أن تسمح لى صحتى بالحضور لزيارتك قريبا فى باريس . لسـوف تكونين السبب الوحيد لرحلتى . أما مناسبة تمثيل مسرحيتى « سميراميس » فلن تكون الا الذريعة لانتقالى ...

(وتنتهى الرسالة بأربعة سطور كتبها فولتير باللغـة الايطالية ، يتمنى فيها أن تأذن له صحته بأن يرتمى عند قدمى « مدام دينى » وأن يقبـل مفاتنها ، التى يصف بعضها وصفا جنسيا مثيرا) .

سبتمبر ١٧٤٨

بنيتى العزيزة ، ها أناذا أعود الى غرفتى متعبا ، مريضا ، فانيا . لم أنم منذ ثلاث ليال ... غدا ، حيا كنت أم ميتا ، سأمكث معك . اننى أحبك ، ولسوف أحبك الى آخر حياتى . انما أنت المرفأ لنفسى التى تفتك بها العواصف . فيك راحتى والسعادة الوحيدة الحقيقية . انى أتحرق شوقا للاطلاع على تمثيليتك الكوميدية .. وداعا يا أديبتى ، وداعا .

« ف . » (**باللغة الايطالية**) .

١٧٤٨

نعم ، يا عزيزتى ، سألقاك هذا المساء ، اننى أعانى كثيرا من الألم والضيق ، وأرزح تحت أوجاعى ، ولكنى سأجد فى قربك صحتى وحياتى .

« ف . » (**باللغة الايطالية**) .

لونفيل فى ٢٦ سبتمبر ١٧٤٨

يا بنيتى العزيزة ، كلما تحسنت صحتى ازددت أسفا عليك . انى اذا مرضت تمنيت أن أموت بين ذراعيك ، واذا عادت لى صحتى تمنيت أن أعيش معك ..

« ف . »

سيريه ـ ٢٩ أكتوبر ١٧٤٨

لقد أشرفت على اليأس ، فانى لا أتلقى خطابات منك ، وأخشى أن تكونى مريضة . ومما يزيد حسرتى أن صحتى رديئة جدا .. أناشدك أن تكتبى لى كيف حال صحتك ، وما هى هذه المسألة الجديدة التى تذكرينها بغموض ؟ واسينى وأحبينى . وداعا يا ملهمتى العزيزة . واكتبى .

« ف » (السطران الأخيران باللغة الايطالية) .



تمثال لفولتير جالسا على مقعده ، من صنع الفنان « هودون »
وهو معروض فى صالون متحف فولتير ، بمدينة جنيف .

سيريه فى ٤ يناير ١٧٤٩

شكرا جزيلا على خطابك الرقيق المكتوب فى ٢٩ ديسمبر . لقد كنت فى أشد القلق ...

اذن فالمسألة التى كنت تريدين أن تكلمينى بشأنها ليست الا مسألة نقود ؟ ان كان فى الأمر ما يعود عليك بالنفع ، اكتبى لى عن الموضوع . ان الخطابات تصلنى بكل أمان . لست أنا ولست أنت من السفراء ، فلا رقابة على محتويات ما يأتينا ، وتستطيعين أن تكتبى لى رأيك بثقة .

وداعا ، ان قلبى يقول لك أضعاف ما يمكن أن أكتبه.

« ف . »

سيريه فى ٥ يناير ١٧٤٩

بنيتى العزيزة ، تسلمت الآن رسالتك المؤرخة ٢ يناير . أهو برتبة لواء ؟ ومبعوث الملك الى ايطاليا ؟ يا بنيتى العزيزة ، لا سبيل الى رفض هذا الخطيب . كنت قد بدأت قصيدة لك وموضوعها أنه يجب على المرء أن يبقى حيث هو ، ومطلعها :

فلنعش لنفسينا يا عزيزتى
ولنستعض عن باقى البشر
بالمحبة والقرابة التى تربطنا ...

ولكن ينبغى أن أغير رأيى ... يجب على أن أضحى بنفسى من أجل سعادتك . تزوجى لواءك ، انى أسألك ذلك راكعا . لم يكن هذا هو حلمى . كان حلمى هو العكس . سوف أقصه عليك عند قدومى ... انك شغلى الشاغل . انى أتسلم رسائلك بكل أمان وفى الموعد المحدد لوصولها ، ولا يمكنك أن تتخيلى الأثر الذى تحدثه فى نفسى .

اذا كانت المسألة التى أخطرتنى بها تعود عليك بفائدة، كلمينى عنها دون أى خوف • انى أحرق رسـائلك بعـد أن أقبلها • وداعا يا حبة قلبى ، انى أقبلك ألف قبلة •

« ف • »

نوفمبر ١٧٤٩

انى معجب بأسـلوبك الايطالى ، يا بنيتى العزيزة ، وأنتظر على أحر من الجمر عنوانك الجديد • لقد أصبحت بلا معدة ، وبلا قوى ، ولكنى ممتلىء بأشد الشـوق لرؤياك • انى ذاهب الى (فرساى) اليوم • سأعود يوم الثـلاثاء أو الأربعاء • وأتمنى أن أراك كل يوم ••

(باللغة الايطالية) •

نوفمبر ١٧٤٩

عادت كل أوجاعى تسـيطر من جديد عـلى جسـمى المسكين • آمل أن تتحسن صحتى عنـدما أصبح معك فى نفس البيت • سآتى لزيارتك اليوم حين تخف بعض آلامى•

(باللغة الايطالية) •

ولا شك أن لهذه المجموعة الغزيرة من الرسائل قيمتها فى تعريفنا بكثير من التفاصيل المتصـلة بنشـاط فولتير ونشاط عصره • غير أنها قبل كل شىء ـ وبعد كل شىء ـ رسائل غرام شاذ كتبها « خال » جاوز الخمسين من عمره الى امرأة تصغره بثمانية عشر عاما هى •• ابنة أخته !

تبدأ القصة بعواطف كريمة ـ مشاطرة الحداد على زوج هـــذه المرأة ـ ثم تتحول تلك العواطف الـكريمة الى علاقة جنسية تبلغ أقصى مداها ، وتسجلها عبارات غزل صريح ، بل غزل ماجن أحيانا · وعـلى الرغم من التخفى الذى حرص عليه بطلا القصة باسـتخدام اللغـــة الايطالية فى تبـــادل أسرارهما ، وبتعمد احراق الجزء الأعظم من هذه الخطابات ، فقد أبقى التاريخ على الحقيقـة · وها هو ذا الكاتب العظيـم يصبح ـ بجدارة ـ مادة دسمة لعلماء التحليل النفسى !

ترى هل كان فولتير خادعا أم مخدوعا ؟

ان ناشر هذه الرسائل يدافع عنه ـ فى مقدمة قصيرة ـ محتجا بصدق عاطفته ، على حين يهـــاجم « مدام دينى » ، وينعتها بأنها نفعية انتهازية منافقة · ولكن هذا الأسـلوب ـ الذى يعتمد على الاعجاب بفولتير ـ لا يقنعنا · فنحن نعرف من خبث هذا الرجل ومن تصرفاته الأنانية فى ظروف حيـاته العاصفة ما يكفى لتقويض مثـــل هذا الدفاع · وحســـبنا ما يتجلى من أنانية فولتير خلال السطور التى قرأناها هنا : انه يلقن عشيقته المبادىء المادية التى آمن بها ، مبادىء التمتع بنعيم الحياة الدنيا ، وتجنب الألم والهموم ، والطرب باللذة الحسية ، والاحتيال للفوز بالمال والألقاب ومختلف المكاسب· وهو يواصل تملق الملوك والأمراء الذين يحتقرهم · وهـكذا ينفق عمره فى التفجع على ضياع عمره ، وعلى عجزه عن أن يعيش كما كان يفضل أن يعيش !

ومهما يكن من صيت « فولتير » ومن امتيازه فى عالم أصحاب العقول الجبارة ، فاننا نلمس فى أحاديثه الشخصية الى ابنة أخته حدود قلبه الضيق ، الجاف ، الخالى من المشاعر النبيلة والمثل العليا والروحيات . وهذه هى النهاية المنطقية للمفكر المادى . انه يجهل وجود الحب السوى . وليكرر ما شاء من ألفاظ الشوق ، وليضرب لعشيقته المواعيد فى القصور والفنادق وفى بيتها أو فى غرفته ، فليس فى عاطفته المشينة مسحة من جمال أو نفحة من شعر . ليس فيها ما يرفع انسانا . وانما هى ملهاة آثمة تورط فى تمثيلها عاشقان لئيمان حتى استحالت أمامنا مأساة رهيبة : مأساة الشيخ الذى تهن قواه شيئا فشيئا ولكنه ما زال عاكفا على لذة الحس ، ومأساة الأرملة الشابة التى تدرك تعلق خالها بها ، وسر تعلقه ، فتستغل الموقف ، لتقتنص أعظم الميراث ... وأين الثقة بينهما والوفاء المزعوم ، وفولتير يشير - أكثر من مرة - الى عشاق آخرين لهذه المرأة تغريهم بمفاتنها ، وهى تلوح له - أكثر من مرة - برجال تقدموا لخطبتها ، كى تذكى جذوة غيرته فيهرع اليها وتحصل منه على ما تريد .. يا لها من مساومات تهدر القيم الانسانية ، وتزيف الروابط ، وتبخس حرمات الأخلاق !

ولعل صورة فولتير كما نراه اليوم ، صورة هذا الشيخ المتهافت الضال - رغم كل ذكائه وكل دهائه - تثير فى أنفسنا الاشفاق والحسرة والرثاء ، أكثر مما تثير النفور أو الاستهزاء .

زينــوبيا

(بقية المنشور فى صفحة ٥٠)

وفى ذات صباح ، شوهدت جيوش أوريليانوس تزحف على الشام كأنها الجراد .. فلم تضطرب زينوبيا ولم تتردد، وبدأت هى بالهجوم ، ونشبت المعركة الاولى بجوار مدينـة أنطاكية ..

وكان جيش تدمر السورية ، هو جيش الشرق كله.. كان مؤلفا من سوريين ، ومصريين ، وعراقيين ، وعرب على اختلاف بيئـاتهم ، ومشـارقة مضـطهدين ناقمين ثائرين جمعت بينهم رابطة الالم المشترك وارادة الحرية والخلاص..

وكان كل منهم يقاتل من أجـل مجموع لا من أجـل أفراد .. ومن أجل وطن شرقى كبير لا من أجل وطن اقليمى صغير ، فكانت روحهم واحدة ، وعزيمتهم باترة ، واتحادهم فى الامل والهدف والرسالة مضرب الامثال ..

وأهابت زينوبيـا بعبقريتها ، وقامت بحركة التفاف بارعة حول أحد أجنحة جيش أوريليانوس .. فأحدثت به فجوة عميقة وكانت على وشك أن تهزمه .. ولكن القـائد الرومانى الذى تكبد خسائر لم تكن فى حسـبانه ، تراجع وطلب النجدة ، ثم سـد الفجوة ، ثم كر على جيش الشرق بجحافل جرارة .. فنشـبت المعركة الثـانية بالقرب من مدينة (حمص) ، حيث قاتل الشرقيون قتـال الابطال ، ودافعوا عن الارض شبرا فشبرا ، **وزينوبيـا فى طليعتهم تقاتل معهم ، وتتلقى الضربات مثلهم ، وتبذل قصاراها فى توجيـه حركات الجيش وفق مناورة جديدة لم تخطر للقائد الرومانى فى بال ..**

وجمعت بعض فرقها وأمرتها بأن تقوم بهجوم ساحق فى جانب معين من أرض المعركة ٠٠ فاعتقـد الرومان أن جيش العدو قد تركز كله فى هذا الجانب ، فحملوا عليـه بجمعهم ٠٠ فأضعفوا قلب جيشـهم ، فأسرعت زينوبيـا وهاجمتهم هجوما مباغتا عنيفا ، وأوشكت للمرة الثانية أن تحرز النصر ٠٠ ولكن الامبراطور نفسـه تدخل فى المعركة وجلب نجدات أخرى ، ثم ضم صفوفه وهجم ٠٠

وأحست زينوبيا أن امدادات العدو تتدفق كالسيل ، وأن ليس فى مقدورها هى أن تقابلها بمثلهـا ٠٠ فرأت أن تتراجع ، وترتد الى تدمر ، وتتحصن فيها ، وتظل تقـاتل خلف أسوارها حتى تعزز جيشـها بقوى جديدة وتتأهب لهجوم ساحق نهائى ٠٠

ونشبت المعركة الثالثة فى تدمر نفسـها ، ونصب الرومان مجانيقهم ، وشرعوا يضربون أسوار المدينة ٠٠ فكان رجال جيش الشرق يتسربون من أقبية خفية وسراديب غير منظورة ، ويتقدمون بغتة خارج الاسوار ، منقضين على الآلات المهلكة ، مستبسلين غير هيابين ، يحاولون تدميرها وهم يصيحون ويجأرون ، وينشدون أناشـيد تسـتنهض عزائمهم ، وتضاعف حماستهم ، وتلهب فى صدورهم جذوة البطولة وروح الايمان والاستشهاد ٠٠

واستحالت الحرب الى سلسلة معارك دموية هائلة ، ودام الحصار طويلا ، ونفد الطعام ، ولاح فى البلاد شبح الجوع ٠ ومع ذلك فقد كان الشرقيون المحاصرون أثبت جنـانا من أعدائهم ، وأصـلب ارادة ، وأقوى احتمـالا ٠٠ فحفروا الخنادق فى الشوارع ، واقاموا المتاريس ، وجعلوا من كل

بيت حصنا ، ومن كل زقاق مخبأ ، ومن كل فرد جنـديا مقاتلا ..

وكانوا اذا أبصروا واحدا منهم يتبرم بالقتال ويطلب التسليم يقتلونه شر قتلة ، ثم يلقون بجثته من فوق الاسوار طعاما للرومان .. أما زينوبيا فكانت تتنقل بينهم ، وتثيرهم وتحفزهم ، وتقـاتل فى عزم كما يقـاتلون ، وبيلوس بجوارها ، يدرأ الخطر عنها ، ويود أن يموت هو ولكن بعـد أن يكفل لها النصر وينقذها ..

وعظمت خسائر الرومان ، وفترت هجماتهم ، ودب اليأس فى قلب قائدهم .. ففكر فى طلب هدنة تعقبهـا مفاوضة .. فأحست زينوبيا ضـعفه وتخاذله وأيقنت أن النصر بات قاب قوسين منها أو أدنى ، ولكن شيئا عجيبـا وقع بغتة .. شيئا داهما مفزعا مستطيرا لم يكن يتوقعـه انسان فى تدمر أو يتصوره .. تسلل بين صفوف الجيش رجل ملثم ، وغافل القواد والضباط والجند وهم يقاتلون ، ثم ارتمى على الاسوار ، وقفز منهـا ، وهبط الى معسـكر العدو ، وطفق يلوح بعلم أبيض ، ويتجه بخطى حثيثـة صوب خيمة القائد الرومانى ..

وكان هذا الرجل هو « ملكارت » .. هو الضـابط الكلدانى الخـائن الذى بعـد أن أفلت من رجال الحرس والشرطة ، ظل مستخفيا فى كوخ أحد الفلاحين فى ضـاحية قصية من ضواحى المدينة ، كى يبرز فى الساعة الفاصلة ، فيتصل بالرومان ، ويعاونهم ويساومهم على العرش !

وأبصرته جموع المقاتلين الشرقيين ، وهو يرفع العلم الابيض ، وعرفته زينوبيـا ورجالها .. فهـالهم ظهوره

الفجائى فى هذه اللحظة ، وايقنوا من عزمه على ارتكاب خيانة مروعة قد تودى بهم .. فاندفعوا كالجوارح ، وهبط معظمهم الاسوار ، وحملوا على العدو حملة صادقة ، مقتحمين صفوفه ، مجندلين فرسانه ، محطمين مجانيقه ، مضرمين النار فى ذخائره .. ولكن ملكارت كان قد أسرع وتقدم فرقة من جنود الرومان ، وأرشد رجالها الى الزاوية الشمالية من الاسوار التى لم يدعم قادة جيش (تدمر) تحصينها ، ثقة منهم بأن العدو لن يهجم منها ، نظرا لقربها من مستنقعات كبيرة قد يغوص فيها الجيش كله !

ومال الرومان الى تلك الزاوية الشمالية ــ وفى مقدمتهم ملكارت ــ ومعهم بعض المجانيق التى لم تحطم ، وأخذوا وهم غارقون فى الوحل يضربون بها السور الضعيف .. حتى فتحوا ثغرة فيه وشرعوا يتدفقون منها ! .. فروعت زينوبيا ، ولكنها لم تفقد لا عقلها النير ، ولا بصيرتها المشرقة ، ولا ثباتها العجيب . وفى مثل خطف البرق أو زمجرة العاصفة ، تحولت نحو بيلوس ، وأهابت به ان يشطر جيشه على الفور ، ويتجه بأكبر جزء منه صوب الثغرة المرهوبة .. فاندفع الجيش مستبسلا فى الهجوم ، وقاتل قتال الجبابرة ، حتى أجلى الرومان عن الثغرة وتمكن من سدها بالحجارة ، وحمايتها بأقوى الرجال ، والقبض أيضا على الكلدانى الخائن « ملكارت » ..

وعندئذ ، لم تتمهل زينوبيا والتقطت أنفاسها ، ثم تحفزت وانقضت على الخائن وهو مذهول ، وطعنته بخنجرها .. فصرخ الرجل وتطوح ، وهوى على الارض مضرجا بدمه .

وما أن أبصر الرومان « ملكارت » صريعا ، وجيش تدمر ـ وقد سد الثغرة ـ يعود فيتجمع ويتماسك ، ويتسرب من الاقبية والسراديب ، ويستطرد القتال ، حتى دب الذعر فى قلوبهم ، فتقهقروا وجمعوا فلول جيشهم وابتعدوا عن الاسوار ، وهم يجرون مجانيقهم التى تحطمت واستحالت الى هياكل تأكلها النار !

وعندئذ تعالى الهتاف فى جيش تدمر ، وأشرق وجه زينوبيا الظافر ، فدنت من بيلوس الذى كان يحدق اليها فى عبادة وتقديس ، وصاحت به وهى تزفر ٠

ـ لن يكف الرومان عنا ٠٠٠ لابد أن تهددنا أيضا روما وترتد فى الغد علينا ٠٠٠ **ولكنى سأواصل القتال حتى النصر ٠ فكل ركن من أسوارنا يجب أن يدعم ، وكل جندى من جنودنا يجب أن يظل على استعداد ٠ هذا أمرى الى الجيش يا بيلوس ٠ وأما أنت ٠٠٠ أنت ٠٠٠ فلا بد أن أسعدك ، ولكن بعد أن أجبر روما على الاعتراف بوحدة الشرق ، وأحرز النصر النهائى ٠٠ وأتم رسالتى !**

فاختلج الشاب ، ولبث يتطلع اليها وهو مأخوذ ومفتون ٠ ثم جاشت عواطفه بالرغم منه ، فلم يستطع الا أن يجثو عند قدمى البطلة أمام الجنود والضباط ، ويتناول يدها الباسلة ويقبلها ، ثم يحنى رأسه الشامخ ، وتنهمر من عينيه الدموع ٠

تمت

(ترقب فى الاعداد القادمة مجموعة من القصص التاريخية المستمدة من الواقع ، من مختلف البلاد والعصور ، بنفس أسلوب وقلم الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم المصرى ٠)

بطولات .. مبسطة للصغار



أطفال دخلوا التاريخ!

جوستاف

..الصبى الذى أنقذ
وطنه..

GUSTAV : THE BOY WHO SAVED HIS COUNTRY

عزيزى الأب .. عزيزتى الأم :

الجهاد فى سبيل الوطن ليس وقفا على الكبار .. وفى هـذه المرحلة من مراحل تاريخ البلاد العربية ، يجب على كل أب وأم أن ينميا حب الكفاح القومى فى نفس طفلهما .. ومن أهم الوسائل أن يرويا له قصص بطولات وطنية قام بها الصغار فى مختلف ارجـاء العالم . وسيجد الأب والأم فى مكان آخر من هذا العدد من «كتابى»، تلخيصا لكتاب عن سيرة السيدة العظيمة « انديرا غاندى » ، وقد ورد فى سياقها بعض ما كانت تسهم به ـ فى صغرها ـ فى الحركة الوطنية الهندية .. فعليكما أن تروياه لاطفالكما ، وتطلعاهم على هذا الجزء الذى نقدمه خصيصا للصغار .. أو فلتقرءاه عليهم اذا كانوا لا يحسنون القراءة ..

عزيزى الصغير :

ليس الرجال وحدهم هم الذين يجاهدون من أجـل الوطن ، فان الأطفال يستطيعون ان يقوموا بدور كبير فى الجهاد .. فاطلب من « بابا » و « ماما » ان يرويا لك ما قامت به السيدة « أنديرا غاندى » وهى صغيرة ، فهما سيقرآنه فى جزء خاص بهما من هذا العدد من « كتابى » ..

أما الآن ، فاقرأ هذا الجزء الخاص بك عن بطل آخـر صغير ، قام بدور كبير فى سـبيل بلاده .. واذا لم تكن تعرف القراءة ، فاطلب من « بابا » أو « ماما » ان يحكيا لك قصة هذا البطل .

قصة البطل ((جوستاف))

◆ **هل سمعت عن (السويد) ؟**

انها بلاد فى شـــمال قارة أوربا ٠٠ فوق ، فى أعلا أطراف الدنيا ، عند البرد الشديد والثلج ٠٠ لو نظرت الى خريطة (أوربا) ، فستجد فى أعلاها جزءا من الأرض يشبه الكلب وهو يقفز ، شبه جزيرة (اسكندنافيا) ٠ وهـــذا الجزء مقســـوم بالطول : فالرأس وجزء من الظهر يســـمى (النرويج) ، والقـــدمان الاماميان ومعظم الجســـم هو (السويد) ٠٠ وبين الرأس والقدمين الاماميين جزء رفيـع من القارة هو (الدينمرك) ٠

وقديما ، منذ ٦٠٠ سنة تقريبا ، انضمت هذه الدول الثلاث — وهى السويد والنرويج والدينمرك — فى اتحاد ٠ ولكن (الدينمرك) كانت طماعة ، برغم انها أصغر الدول الثلاث ، فأخذ ملوكها يظلمون السويد بوجه خاص ، حتى تضايق أهلها ، لأنهم يحبون الحرية والعدل ٠ وعندما ذاقوا ظلم ملوك الدينمرك ، بدأوا يؤلفون جماعات للثورة وتحرير البلاد ، ولكن هذه الجماعات كانت تنهزم باستمرار ٠٠

والشعوب المحبة للحرية ، يا عزيزى الصغير ، لا تيأس اذا غلبها المستعمر ، وانما تجمع صفوفها من جديد ، بعـد كل هزيمة ، وتنظم قوتهـا مرة أخرى ، وتشرع فى محاولة جديدة ٠٠ فالظلم والعدوان لا يصبر عليهما أى شخص له كرامة ، وأى وطن عزيز على أبنائه ٠

وهكذا أخذت (السويد) تثور وتنهزم ، تثور وتنهزم ٠٠ الى أن ظهر بطل اســـمه « جوستافس فاسا » ، أو « جوستاف » ، واستطاع أن يحرر بلاده فى سنة ١٥٢٣ ٠٠ يعنى منذ ٤٤٥ سنة ٠

هذا البطل هو الذى سأقص عليك حكايته ٠٠ وهى

حكاية بدأت منـــذ طفولته ، فان البـــلاد كانت اذ ذاك قد قضت ١٢٠ سنة وهى تثور على ملك الدينمرك فيرســـل الملك جيوشه ويهزمها • وكان الناس يعيشـــون دائما فى حالة اســـتعداد لتحرير بلادهم ، ويعلمون أولادهم منذ الصغر الشجاعة وحب الوطن• ولهذا فان والد « جوستاف » كان يعلمه فى طفولته ان يكون شجاعا ، وان يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ليدافع عن بلاده حين يكبر • وكان يعلمه أيضا ان يحب الخير وان يحب الناس •

بطولته منذ سن السادسة !

◆ **وظهرت** أول مظاهر بطولة « جوستاف » ، عندما كان عمره ٦ سنوات •• وكان جسمه قويا بفضل الرياضة والحياة فى الخـــلاء معظم الوقت •• وفى ذات يوم ، كان يمشى مع أبيه فى احدى الغابات ـ (والسويد بلاد فيها غابات وبحيرات كثيرة ••)

فى ذلك اليوم ، كان « جوستاف » يتمشى مع ابيه فى غابة ، واذا به يرى عددا من الثعابين ، فقال لأبيه : « اعطنى عصا وأنا أقتل لك كل هذه الثعابين » •

قال له أبوه : « مالك والثعابين ما دامت بعيـــدة عنك ولا تؤذيك ؟

قال جوستاف : « ولكنها قد تؤذى غيرى •• ألم تقل لى ان ملك الدينمرك مثل الثعبان لأنه يؤذى أهل السويد ؟ »

ولكن والده خاف عليه ، فرفض أن يسمح له بالعصا ، وأسرع يبتعـــد به عن مكان الثعابين ، وظن الأب ان الامر انتهى عند هذا ، ولكن « جوستاف » ظل طول الليل ساهرا يفكر : **ان هذه الثعـــابين قد تؤذى أحدا من النـــاس ، لذلك يجب القضاء عليها • وعنـــدما ظهر أول نور للفجر ، نهض من فراشه ، وخرج من البيت على أطراف أصابعه ، دون ان**

يشعر به أحد ، وأخذ فأسا كانت تستخدم لقطع الاشجار ، ثم ذهب الى الغابة .

وظل « جوستاف » طول النهار فى الغابة . اما أهله، فلما لم يجدوه ، خرجوا يبحثون عنه فى كل مكان . وفى المساء ، شاهدوه يعود الى البيت ، ومعه الفأس وعدد من الثعابين الميتة !

وظهر الفزع على ابيه ، وهو يتصور الخطر الذى كان ابنه مهددا به .. وصحيح ان « جوستاف » كان معرضا للخطر ، فالثعابين ماكرة ، ومؤذية ، وهو صغير ولم يكن من الحكمة أن يتعرض للثعابين وحده .. ولكن « جوستاف » كان قوى الجسم ، وكان شجاعا كما قلنا .. وعندما لامه أبوه ، قال جوستاف : « انك علمتنى ان أساعد الناس ، وأنت تقول لى دائما ان من يؤذى الناس يستحق الموت .. لهذا قتلت الثعابين » !

جوستاف يشترك فى القتال ضد الاعداء

♦ **وفى** هذه المرة ، كان ظلم ملك الدينمرك فى ازدياد .. ودماء أهل السويد تغلى ، وهم يستعدون من جديد للثورة . وأخذ « جوستاف » يتعلم فنون القتال والمبارزة بالسيف . وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، بدأ يشترك فى الحركة الثورية لبلاده .

ولكن ملك الدينمرك ــ وكان اسمه كريستيان الثانى ــ شعر بالتمرد ، فأرسل فى سنة ١٥١٨ جيشا كبيرا الى (استوكهولم) عاصمة السويد ، وأمر الأهالى هناك بأن يجعلوه ملكا عليهم. ومعنى هذا ان السويد لا تصبح عضوا فى اتحاد مع النرويج والدينمرك ، وانما تصبح مستعمرة للدينمرك أو جزءا تابعا لها !

ورفض الاهـــالى طلب الملك ، لأنهم يحبـون بلادهم ويحبون الحرية، فتجمعوا حول والد « جوستاف » واختاروه زعيما للثورة ، وحاولوا طرد القـوات الدينمركيـــة من (استوكهولم) • ولكن الدينمركيين كانت عندهم أسـلحة أكثر منهم ، فهجموا بشدة على الوطنيين الســـويديين ، وأخذوا يقتلونهم بوحشية ، وطاردوهم فى جزء من السويد، وهم يخربون ويقتلون ، ولا يرحمون رجالا ولا نســاء ولا أطفالا •• كما أخذوا أسرى كثيرين بالغدر والخيانة ، كان بينهم « جوستاف » وأبوه •• وكان الشاب عندئذ فى الثانية والعشرين من عمره •

وفى تلك الايام لم تكن هناك مواصلات ولا تليفونات ولا اذاعة كما فى ايامنا هذه ، فلم تعرف بقية (السويد) بما جرى الا بعد عدة أسابيع •

وبعد المعركة ، نقل جنود (الدينمرك) الاسرى المهمين الى بلادهم ، وأخذوا يعذبونهم بوحشية وقســوة • ووعد « كريستيان » بأن يطلق سراح هؤلاء الاسرى بعد تتويجـه ملكا على (السويد) • ولكنه كان غادرا خائنا ، فبعد ثلاثة أيام من تتويجه ، أمر باعدام أولئك الاسرى !

ورأى والد « جوسـتاف » ان ابنه بين الاسرى الذين خرجوا من حجرات السجن لينفذ فيهم حكم الاعدام • وكان يسير رافع الرأس ، وقد ارتدى خير ثيابه الرســمية ، فقد كان من نبلاء البلاد •

ورآه أحد الحراس ، فدفعه بخشـونة وغلظة ، وهو يقول : « ابتعــد •• ان دورك غدا » • وهنــا رأى والد « جوستاف » الفرصة ســانحة ، فاقترب منه وهمس : « أسرع بالنجاة يا بنى اذا استطعت ، حتى يظـل واحد منا حيا ، ليجدد المحاولة ويحرر الوطن » •

مغامرات وأهوال فى سبيل انقاذ الوطن

◆ **وأطاع** « جوستاف » اباه ، فلم يقاوم الحارس ، وعاد الى سجنه . وكان السجن حجرة ضيقة ، فى برج مرتفع متين البناء .. فبدأ الشاب يرسم خطة للفرار ، واستطاع بالرشوة ان يغرى أحد الحراس ليحضر اليه منشارا وحبلا . وبالمنشار أخذ يقطع حديد نافذة سجنه . وفى الليلة التالية تدلى بالحبل من النافذة . وكان الارتفاع كبيرا ، سبب خوفا كبيرا للشاب ، ولكنه تذكر كلمات ابيه وحالة وطنه ، فاستجمع شجاعته ، وصر على أسنانه ، وأخذ ينزلق على الحبل حتى نهايته . وكان طرف الحبل بعيدا عن الارض ، فقفز . وهبط على الارض بشدة ، ولكنه لم يصب بأذى . وأسرع يجرى محتميا بالأشجار ، ثم تسلل بعيدا عن البرج ، وأخذ يسير فى حذر ، ويختبىء بين الاشجار أو فى الحفر التى تصادفه ، كلما لمح أحدا ، حتى بلغ بلاده ، مجتازا البحر !

وهناك ، لم يذهب الى (استوكهولم) ، بل سار الى الشمال . وصادف فى طريقه كوخا لرجل فقير ، فأعطاه ثيابه الغالية ، وأخذ منه ثيابا قديمة بالية ، حتى لا يعرفه أحد من جنود الدينمرك اذا علموا بهربه وجاءوا يبحثون عنه !

وسار « جوستاف » طويلا ، فى أرض وعرة وشبه مهجورة . وكان يشتغل عند من يصادفهم من المزارعين والرعاة ، ليجد ما يأكله . وكانت مدن (السويد) قليلة والمسافات بينها بعيدة . **وفى كل مدينة ، كان « جوستاف » يروى مذابح ملك الدينمرك ، وغدره بالرهائن والاسرى ، ويثير سخط السويديين وغضبهم على الملك الاجنبى الظالم .** ولكنهم كانوا عاجزين ، وكانت فظائع العدو تجعلهم يخافون

من الثورة ، كما ان بعض النبلاء خشـــوا ان يصادر ملك الدينمرك أملاكهم ويقتلهم كما قتل والد « جوستاف » !

وحزن الشاب لهذا ، ولكن وصـــية ابيه وحبه لوطنه كانا يصونانه من اليأس . وكان يعلم ان فى احدى المـدن نبيلا من أصدقاء ابيه ، محبوبا من الناس لطيبة قلبه وقوة وطنيته ، فمضى فى طريقه يبحث عنه ..

ينقذ وطنه .. فيكافئه الوطن أعظم مكافأة !

◆ **وبعد** سنتين ـ قضاهما فى السير والتنقل ـ وصل المدينـــة مع النبلاء والأعيان ، وذهب الى المجلس فانتابت الحراس الشكوك فى الشـــــاب ذى الثياب المهلهلة ، الذى تراكم الغبار على وجهه ، وتمزقت قدماه من طول السير !.. ولكنه اســـتجمع ما بقى له من قوة ، وأزاح الحراس ، واندفع الى قاعة الاجتماع .. وهناك تقدم الى صديق والده وعرفه بنفسه ، ثم راح يصف كل ما حدث بحماسة وفصاحة ، جعلت الجميع يستمعون فى دهشة ، وقد أثارتهم فظائع جيش العدو وغدر ملك (الدينمرك) بالأسرى .. وفى الوقت نفســـه أعجبتهم جرأة الشاب ، وشجاعته ، وقوة مشاعره الوطنية..

وتشاور النبلاء والاعيان ، ثم قرروا أن يهبوا لانقـــاذ بلادهم والانتقام لأخوانهم . وانطلقوا يجمعـــون اتباعهم وابناء وطنهم ، ويرســـــمون خطة للجهاد . وعندما نظموا صفوفهم ، جعلوا « جوســـتاف » قائدا لهم ، تقديرا منهم لوطنيته ولماتحمـــــله ، وتكريما له لأنه هو الذى أثارهم وأطلعهم على نوايا ملك (الدينمرك) ووحشية جنوده .

وسار جيش الوطنيين الى (استوكهولم) ، فاشتبـــك فى قتـــال مع الدينمركيين .وكان قتالا شديدا ، طويلا ، استغرق اكثر من عامين ، وانتهى ـ فى هذه المرة ـ بانتصار

المجاهدين ، وطرد الدينمركيين من (السويد) ، وفصل البلاد نهائيا عن (الدينمرك) ، وتحقيق استقلالها ٠

وتقديرا لجوستاف ، اتفق نبلاء البلاد وشعبها ـ سنة ١٥٢٣ ـ على اختياره ملكا للسويد !٠٠ ورفض « جوستاف » فى البداية ، ولكنه فى النهاية خضع لرغبة الشعب ، وقبل أن يكون ملكا ، وقام باصلاحات كثيرة ، خلدت اسمه فى التاريخ تحت اسم « **جوستاف الاول** » [٥]

(بقية المنشور فى صفحة ٣٤)

عـــاد الشتاء

عاد الشتاء ٠٠
كفت عن الضحك الخمائل ٠٠ والطيور عن الغناء !
وتعرت الاشجار فى وجه السماء ٠٠ بلا حياء !
وتثاءبت قبل الضحى الشمس الكسول
لا شىء الا صار يوحى بالافول
واصفر لون الذكريات
مثل القشور الذابلات
جفت ومن ريح العبير بها أثر !!
عاد الشتاء ٠٠
والبرد يعصف فى جنون
واللاجئون النائمون بلا غطاء
تحت الخيام الباليات تضمهم أرض الكليم
تلك الخيام لهم سماء
وثقوبها المتآكلات هى النجوم
هاتيك لا بردا ترد ٠٠ وتلك لا تعطى بصيصا من ضياء !

***

عاد الشتاء ولا يزال ٠٠ [٥]

الزاحفون على الجليد من الشمال
يستكشفون ويطلقون كواكبا عبر الفضاء
ومصدرو الدولار تجار الحروب
يتربصون .. وينصبون به المصائد للشعوب
والارض أنهكها الصراع تسير مثقلة الضمير
والعالم المحموم ينتظر المصير !!
ماذا تخبىء فى ردائك يا شتاء ؟
انا غرسنا للمحبة .. للسلام وللبقاء
اترى سنجنى فيك أزهار الوداد ؟
أم أن أرواح العباد .. هى الحصاد ؟!

* * *

أما الشاعرة الثالثة ـ علية الجعار ـ فقد امتعتنى صحبة ديوانها الاول الرقيق ، الذى قدم له شاعرنا الكبير أحمد رامى ، وأدهشنى أن أراها حائرة به بين الناشرين ، تبحث له عن ناشر ، وهو الأولى بالنشر من كثير من الكتب والدواوين التى تخرجها المطابع كل حين .. حتى انتهى بها الامر الى طبعه واصداره على نفقتها .. ووجدتنى أتغنى بهذه النماذج الرائعة من الديوان :

يا لكفيك تفيضان حنينا وحنانا
تحتوى وجهى حتى تتلاقى شفتانا
قبلة تشمل فيها الروح من راح هوانا
نعبر الكون وجودا وشعورا وزمانا
نحو دنيا من خيال لم يعش فيها سوانا

ومن قصيدة ثانية :

سل شرفتى فلكم سهرت أكفكف الدمع السخين
سلها فكم سهرت معى نجتر أحداث السنين
وعلى وسادة سورها خدى ينام ويستكين

أنا والنجوم وشرفتى والقلب والليل الأمين
ماذا جنينا فى الهوى حتى نعيش معذبين ؟

كيف تؤدب طفلك

(بقية المنشور فى صفحة ٦٦)

وجدير بمن يرى سوء تصرف الطفل — من الوالدين — أن يبادر بمعاقبته ، دون أن ينتظر حضور الوالد الآخر .. **وقد يلجأ الطفل — فى بادىء الأمر — الى البكاء ، أو أرهاب ابويه بالمرض أو القىء أو ما الى ذلك . ولكن الجدير بالأبوين أن لا يخدعا بهذا « التهويش » .. وليس لهما أن يختشيا فقدان حب ابنهما أو يجعلا هذه الخشية تمنعهما من ايقاع العقاب .**

ومن الخطر السماح بأى استثناء فى ممارسة هذه السياسة التأديبية . فاذا أساء الطفل التصرف فى مكان عام مثلا ، يجب أخذه الى أقرب خلوة وايقاع العقاب به .. على أن يتناسى الوالد الذى يوقع العقاب ، الأمر كله بمجرد ايقاعه ، فلا يعود الى تعيير الطفل أو يستمر فى ابداء استيائه منه .. أما القول بوجوب مناقشة الطفل منطقيا اذا أخطأ ، فيرد عليه بأن ادراك الطفل لايجعله يفيد من ذلك .. والأفضل عقابه ، ثم تفسير السبب .. وبالضربة الخفيفة ، المتكررة — بتكرر الذنب — أو المكافأة المتكررة بتكرر الاحسان، يمكن أن نربى فى نفس الطفل تقدير ما هو صواب وما هو خطأ .

وجوب تعاون المدرسة مع البيت

وهذا الترويض للطفل لا يؤتى ثماره ما لم يكن التعاون مكفولا بين البيت والمدرسة ، **فان الغاء العقاب البدنى** فى المدارس هو سبب سوء سلوك الناشئين . وقد أثبتت **الاحصاءات فى سنة ١٩٦١ أن بين مليونى جريمة ارتكبت فى**

الولايات المتحدة ، كان ثمة مليون جريمة ارتكبها صغار لم يتجاوزوا الثامنة عشرة من عمرهم ، **ومعظمهم لم يكونوا منحرفين بفطرتهم .. فلو أنهم تعرضوا – فى صغرهم – لعقاب خفيف على هفواتهم ، لما ارتكبوا الكبائر فيما بعد !**

وينبغى أن يبدأ التأديب فى سن مبكرة ، وأن يرتبط بظروف الطفل النفسية ، والاجتماعية ، والدراسية ، كما يرتبط بنموه وسنه ، فلا نطالب ابن الثالثة بما نطالب به ابن العاشرة ، وهكذا ..

كتابى : هذه خلاصة للكتاب الذى أصدره المربى والعالم النفسانى « بيتر كرانفورد » ، فما رأى أساتذة التربية وعلم النفس ، فى بلادنا العربية ، فى هذا الاتجاه الحديث الذى ينادى بالعودة الى العقاب البدنى لابنائنا وبناتنا ؟.. هل يقرونه ، أم يعارضونه ؟ .. هذا هو الموضوع الذى نطرحه على بساط البحث ، ونرحب بآراء علمائنا وباحثينا بصدده .

مطبوعات كتابى

تقدم لقرائها ؛ بعد الاستعداد الطويل والتحضير الدائب ؛ السلاسل الآتية ، بالتناوب ؛ بالاضافة الى سلسلة الترجمة الكاملة للاعمال الادبية :

١ ـ مكتبة التراث العالمى للشباب

أعظم ما كتب شكسبير ، وتولستوى ، وجوته ، وديكنز ، وغيرهم من أعلام الادب والقصة فى العالم ، مبسطا للقارىء العصرى وللشباب فى أجمل أسلوب وأنسب حجم وسعر .

٢ ـ مكتبة التراث العربى للشباب

كليلة ودمنة ـ البخلاء ، للجاحظ ـ رسالة الغفران ، للمعرى ـ الاغانى ، للاصفهانى .. وغيرها من كنوز الادب العربى مبسطة للقارىء العصرى فى حجم وسعر يناسبان جميع المستويات .

٣ ـ مكتبة القصص العلمى

أروع وأحدث ما ظهر فى العالم من روايات وقصص تصور عالم الغد ، كما تصوره الروائيون وكما يحققه العلماء فى عصر الذرة والصواريخ .

٤ ـ قصة مصر

« قصة تاريخ مصر » منذ أقدم العصور ؛ مبسطة للقارىء العصرى ؛ ومحققة ؛ بقلم الاثرى المصرى الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف .

٥ ـ الجريمة لا تفيد

النماذج الراقية من القصص البوليسى ، وروايات الجريمة لاشهر كتابها الجادين ، ابتداء من « ادجار آلان بو » و « كونان دويل » الى « اجاثا كريستى » و « هتشكوك » و « سيمنون » .

٦ ـ مكتبة الاعلام ، للشباب

سير أعلام الفن ، والادب ، والموسيقى ، والاختراع ، والوطنية ، والفلسفة ، والسياسة ، والعلم ، والرسم .. الخ .. محلاة بصور نادرة .

٧ ـ قصص من الحياة

مكتبة جديدة من نوعها ، تضم قصصا واقعية من اختبارات أطباء العلاج النفسى وعلماء التحليل ، تصور حالات نفسية ومرضية متواترة فى كل مجتمع عصرى ؛ وقصص نجاح أشهر العصاميين فى العصور الحديثة .

٨ ـ مكتبة أدب السينما

٩ ـ مكتبة القصص الشعبى

١٠ ـ ألف قصة وقصة من آداب العالم

تصدرها « مطبوعات كتابى » تباعا ، بالتناوب


بريخت


فرانسواز ساجان


دستويفسكي


مورافيا